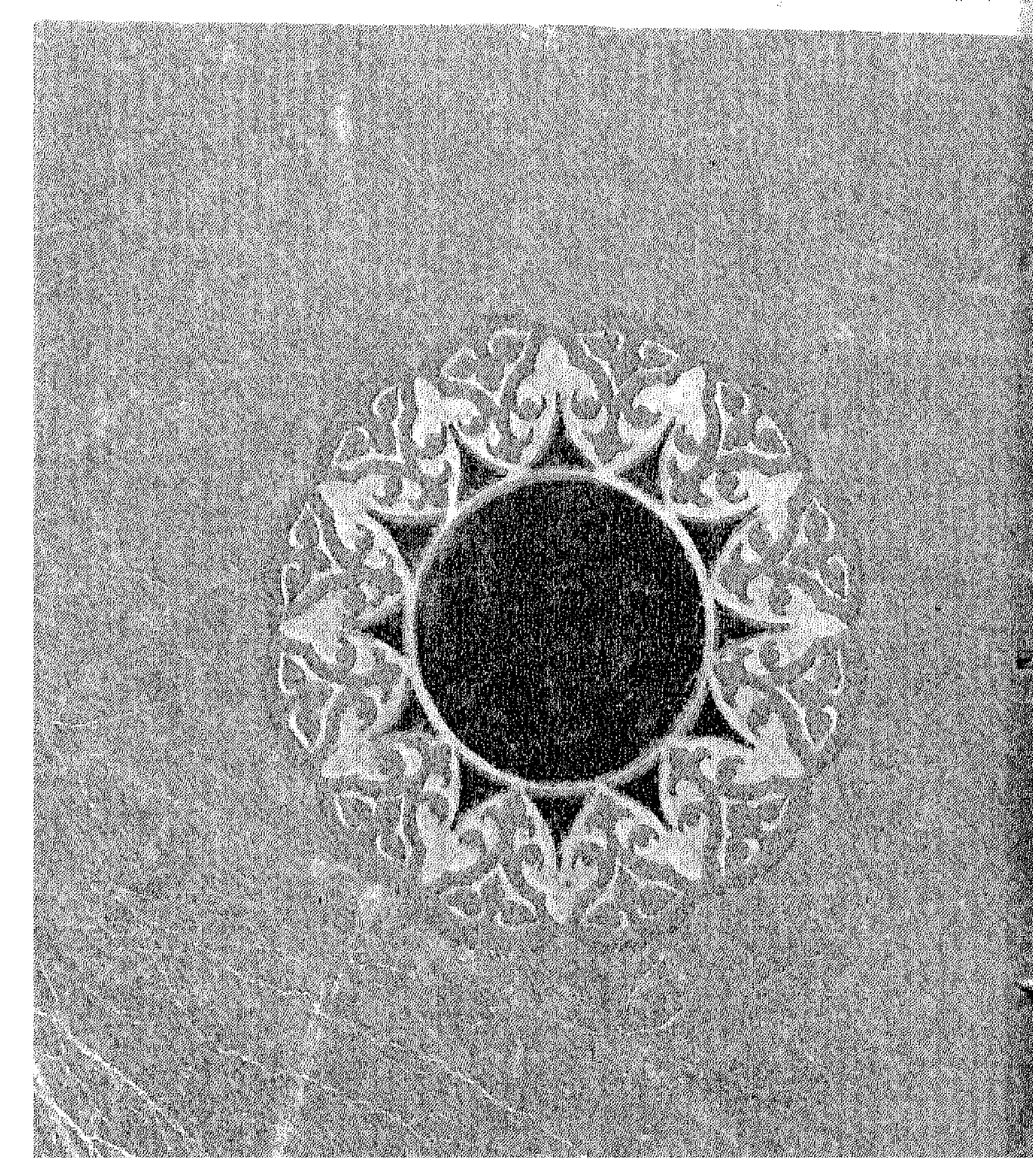
كتاب الهلال

سلسلة ثقافية شهرية

إن الله اشترى

د. أحمد الشرباصي



كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد

[illegible] صالح جودت

المشرف الفني : جمال قطب

سكرتير التحرير : عايدة عياد

العدد ٣٠٩ - رمضان ١٣٩٦ - سبتمبر ١٩٧٦

No. 309 - Sept. 1976

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي : « ١٢ عددا » في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربي والافريقي ١٢٠ قرشا صاغا . في سائر انحاء العالم ٦ دولارات امريكية او ٢٫٥ جك - والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي قابل للصرف في جمهورية مصر العربية والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادي - وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــــلاف بريشة
الفنــان جمال قطب

د. أحمد الشرباصي

إن الله اشترى

دار الهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد الله تبـــــارك وتعالى ، واصلى واسـلم على جميع انبيائه ورسله، وعلى خاتمهم ســـيدنا محمد ، وعلى آلــــــه واصحابه ، واتبـــاعه واحبابه، ومن دعا بدعوته باحسان الى يوم الدين .

واستفتح بالذى هو خير : « ربنـــــا عليـــك توكلنا ، واليك انبنـــا ، واليك المصير » .

***

شعاع من نور القرآن

« أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهـــده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم .

التائبون العابدون الحـــامدون السائحون ، الراكعون الساجدون ، الآمرون بالمعروف والنـــاهون عن المنـــكر ، والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين » .

(سورة التوبة)

تصدير

هذه سير محققة لمجموعة من النماذج البطولية التى صنعها رجال باعوا لله تبارك وتعالى نفوسهم وكل ماقى أيديهم ، واشترى الله جل جلاله منهم هذه الأرواح والأموال فتقبل أعمالهم ، ورضى عنهم ، وأحسن لديه مآبهم ومآلهم ، بعد أن كتب لهم التوفيق حين كانوا يسعون بايمانهم ونورهم بين الناس .

واذا قلنا : « ان الله اشترى » ، فمعنى ذلك ان الله ذا الجلال وذا الكمال ، قد تفضل على عباده ، ووهبهم منة التعاقد معهم ، بأن يضمن لهم نعيم الجنة وخلوده ، لقاء أن يجاهدوا فى سبيله ، وأن يبذلوا الأرواح والأموال من أجل اعزاز كلمته ، وهى كلمة الحق والعدل والخير .

والشراء المعهود بين الناس لا يجوز فى حق الله تعالى ، لأن المشترى انما يشترى شيئا لا يملكه ، والله سبحانه مالك كل شىء . لكن الله تعالى ذكر ذلك لحسن التلطف فى الدعوة الى الطاعة ، لأن المؤمن اذا جاهد فى سبيل الله ، وأنفق ماله فى سبيل الله ، استحق الجنة ثوابا لذلك ، فجعل القرآن هذا استبدالا وشراء ، وان كان الفضل لله وحده فى الجانبين .

ولهذا قال الحسن : « اشترى أنفسا هو خلقها ، واموالا هو رزقها » ! ..

واضاف قوله : « واسمعوا ، انها والله بيعة رابحة ، وكفة راجحة ، بايع الله بهـا كل مؤمن ، والله ما على الأرض مؤمن الا قد دخل في هذه البيعة » ! ..

وقد قال الصادق عليه الصلاة والسلام ــ كما روى الفخر الرازى فى تفسيره ــ : « ليس لأبدانكم ثمن الا الجنة ، فلا تبيعوها الا بها » .

***

ان الذكر الحكيم يقول : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهـــده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الـذى بايعتم به ، وذلك هو الفـــوز العظيم : التائبون ، العابدون ، الحامدون ، السائحون، الراكعون، الساجدون ، الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين » .

اى ان الله تبارك وتعالى اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم ، اذا بذلوها فى سبيله : سبيل الحق والعدل والخير ــ اشترى ذلك بخير العوض واغلى الثمن ، تفضلا منه وكرما ، مع أنه خالق تلك الانفس وواهب تلك الأموال .

والثمن الغالى هو الجنة ، وانعم به من ثمن . يقول الحسن البصرى : « بايعهم والله فأغلى ثمنهم » . وهذا العقد قد ذكره الله فى كتبه الثلاثة : التوراة المنزلة على موسى ، والانجيل المنزل على عيسى ، والقرآن المنزل على محمد ، عليهم جميعا الصلاة والسلام .

ويا لها من صفقة سامية رابحة تستحق الاستبشار .
والله خير من يفي بوعده : «ومن أوفى بعهده من الله» ؟ .
فهو لا يخلف الميعاد .

وهؤلاء الذين تعاقد الله معهم ، واشترى منهم : هم الذين يتوبون من الذنوب ، ويهجـــرون الفواحش ، والقائمون بعبادة ربهم في اخلاص واستقامة ، والذين يحمدون الله ، ويصومون له ، ويصلون ، ويقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويحفظـــــون حدود الله ، ويتقيدون بتحليله وتحريمه ،وهؤلاء هم الذين يستحقون البشرى .

ولنتذكر أن كلا من كلمتي : « اشترى » و « باع » تطلق بمعنى الأخرى ، لأن الاساس فيهما واحد ، وهو التبادل أو المعاوضة ، فأنت تشتري بنقودك سلعة ، فالسلعة مبيعة ومشتراة في وقت واحد ، والنقـود قد بعتها بالسلعة فهي مبيعة ، والذي أعطـــاك السلعة قد اشترى بهـــا النقود ، فالنقود مشتراة ومبيعـــة في وقت واحد .

والله جل جلاله يقول في سورة البقرة : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد» فالمؤمن قد اشترى نفسه ، أي نجاها ، وهو في الوقت نفسه قد باعها لمولاه في مقابل الفوز بالنعيم الخـــالد في دار البقاء .

وقد روي ان هذه الآية نزلت في شأن صهيب بن سنان الرومي (١) ، فانه أقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يريد الهجرة من مكة الى المدينة، فلاحقه نفر من

---

(١) انظر تفاصيل بطولته في كتابي : « أبطال عقيدة وجهـــاد » من صفحة ٢٨١ الى صفحة ٢٩٦ • طبعة سنة ١٩٧٢ .

المشركين ، فنزل عن راحلته ، واخرج سهامه ، وتناول قوسه ، وقال لهم :

لقد علمتم أنني من أرماكم ، وايم الله لا تصلون الى حتى أرمى بما فى كنانتى ، ثم أضرب بسيفى ، ما بقى فى يدى منه شيء ، ثم افعلوا ماشئتم ! ..

فقالوا : لا نتركك تذهب غنيا ، وقد جئتنا صعلوكا فقيرا ، ولكن دلنا على مالك بمكة ، ونحن نخلى عنك .

وعاهدوه على ذلك ففعل .

فلما قدم على رسول الله عليه الصلاة والسلام ، نزلت الآية الكريمة ، فقال له النبى : ربح البيع يا أبا يحيى . وتلا عليه الآية .

وقد ذكرت فى كتابى : « بين الفداء والوفاء » عن هشام بن عامر الشهيد الحامل على الصف هذه العبارة :

« اشترك هشام فى معركة القسطنطينية عاصمة ديار الروم يومئذ ، وهى اصطنبول ، وكان سمك سورها واحدا وعشرين ذراعا .

وتطلع هشام الى صف الأعداء الواقف فى وجه المجاهدين المسلمين ، وهم بحاجة الى اقتحامه واحداث ثغرة فيه ، فاندفع نحوه هشام بلا ارعواء ولا ابطاء ، وقذف بنفسه على الصف ، واخذ يجاهد ويجالد ، حتى احدث فيه الثغرة المرجوة ، ودفع ثمنها ، وكان الثمن حياته ، حيث نال نعمة الشهادة ، ومضى الى ربه عظيما كريما ، بعد أن أدى واجبه الجهادى خير الأداء ، وفتح أمام رفاقه طريق الظفر والانتصار .

وخيل الى بعض الناس ان هذا التصرف من هشام فيه مخالفة لأمر الله عز وجل ، لأنه يقول فى سورة

البقرة :- « وأنفقوا فى سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، وأحسنوا ان الله يحب المحسنين »

وقال هذا البعض : يرحم الله هشام بن عامر ، لقد ألقى بيده الى التهلكة .

وسمع هذا التعليق أبو هريرة رضى الله عنه فاستنكره وقال : لا والله ما ألقى هشام بيده الى التهلكة ، ولكنه التمس قول الله تعالى : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رءوف بالعباد » (١) .

***

والحق تبارك وتعالى يحرض عباده المؤمنين على أن يسلكوا طريق البذل والتضحية والفداء ، لكى يكونوا أهلا لشراء الله أنفسهم وأموالهم بالجنة ونعيمها الدائم المقيم ، فيقول فى سورة النساء : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

ومما يدخل فى نطاق هذا التعاقد الالهى الكريم ، البيعة الصادقة على الجهاد والثبات ، والحق جل علاه يقول فى سورة الفتح : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما » . ويقول فى السورة نفسها : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم مافى قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحا قريبا » .

---

(١) يمكنك أن تتابع حياة هشام بالتفصيل فى كتابى : « بين الوفاء والفداء » من صفحة ١٩ الى صفحة ٢٩ .

أما بعد . فهذا سادس كتاب يصدر لى ـ بفضل الله تعالى وعونه ـ فى موسوعة رجال الفداء . والحديث عن التضحية والوفاء . لقد سبقه أخوة خمسة له : سبقه: « الفداء فى الاسلام » ثم « فدائيون فى تاريخ الاسلام » ثم : « أبطال عقيـــدة وجهاد » ؛ ثم : « بين الوفاء والفداء » ؛ ثم : « رجال صدقوا » .

ثم جاء هذا الكتاب : « ان الله اشترى » ليضيف لبنة الى البناء ؛ وما زالت النية معقـــودة على متابعة الخطوات ، والله من وراء القصد مرشد ومعين .

د . احمد الشرباصي

أمير الرماة الشهيد
عبد الله بن جبير

من شمائل الفدائية المؤمنة : كمال الطاعة ، وتمام الاستجابة ، لأن الثبات فى أداء الواجب الموكول الى الانسان طريق الفلاح والتوفيق ، والقرآن الكريم يقول : « ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » .

ويقول : « وان تطيعوه تهتدوا ، وما على الرسول الا البلاغ المبين » .

ولقد أعطانا الاسلام العظيم درسا فى ذلك ، يتجلى فى غزوة أحد ، ويتمثل فى موقف مجيد مشهود لصحابى جليل فى هذه الغزوة ، وان كان أكثرنا لا يلتفت كما ينبغى الى هذا الموقف النبيل .

فنحن نعرف أن غزوة أحد كانت اختبارا صارما للمسلمين ، ودرسا بليغا فى تقويم المجاهدين . وكان من المظاهر البارزة فى الغزوة حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تقسيم الجيش ، وتوزيع الجنود على أماكنهم ، حتى يكون كل مجاهد فى موقعه المناسب له ، فيتخذ الأشداء الأقوياء ليكونوا فى الطليعة ، وجعل المتوسطين من ورائهم ، وجعل ظهر الجيش محميا بجبل أحد ، وجعل الرماة بالنبال والسهام فوق الجبل لحماية ظهر الجيش .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذا التوزيع حين يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « واذ غدوت من

أهلك تبؤى المؤمنين مقاعد للقتال ، والله سميع عليم » .

وكان الرماة الواقفون على الجبل خمسين راميا ، وقد اختار الرسول لقيامهم الصحابى الجليل عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصارى ، وهو من سابقى أهل المدينة الى الاسلام ، وكان ممن شهد بيعة العقبة الثالثة مع رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وقد آخى النبى عقب الهجرة بينه وبين الحصين بن الحارث .

والحصين هو المجاهد البطل الذى شهد غزوة بدر وغيرها ، وهو شقيق البطل المجاهد الشهيد عبيدة بن الحارث ، وشقيق البطل المجاهد الطفيل بن الحارث .

وكان عبد الله بن جبير ماهرا فى الرماية ، وحينما خرج ليجاهد فى غزوة بدر خرج معه شقيقه خوات بن جبير، ولكن جرحا أصاب جسم خوات ، فمرض ، فرده الرسول الى المدينة ، وعده كمن شهد الغزوة ، وقضى له بسهمه منها وأجره ، ونية المرء خير من عمله .

***

ثم جاءت غزوة أحد، وخرج اليها عبد الله بن جبير فيمن خرج ، وعليه ثياب بيض ، كأنه قد أعدها اشارة الى صفاء نيته فى الجهاد ، وصدق رغبته فى الاستشهاد، حتى يلقى ربه وهو فى صفاء نفسى ونقاء ظاهرى .

واختار الرسول عبد الله كما عرفنا قائدا وأميرا للرماة الخمسين، ومنذ ذلك الوقت كسب ابن جبير ذلك اللقب المجيد ، لقب « أمير الرماة » الذى سيظل يوصف به فى السيرة النبوية العطرة الى ماشاء الله ، وأوصى رسول الله هؤلاء الرماة أن يلزموا قمة الجبل لحماية ظهر المجاهدين ، ونهاهم عن ترك مكانهم ، مهما كانت النتيجة ، حتى يأمرهم بذلك .

وقال الرسول لعبد الله بن جبير: « انضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، واثبت مكانك ، ان كانت لنا أو علينا » . ويروى انه قال للرماة : « ان رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا ، حتى أرسل اليكم ، وان رأيتمونا ظهرنا (تغلبنا) على القوم وأوطأناهم ، فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم ، وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا » . وفي رواية انه قال لهم : « الزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، فاذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل في عسكرهم ، فلا تفارقوا مكانكم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ، ولا تدفعوا عنا ، وأرشقوهم بالنبل ، فان الخيل لا تقدم على النبل ، انا لن نزال غالبين ما مكثتم مكانكم ، اللهم انى أشهد عليكم » . وفي رواية أنه قال لابن جبير : « انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، ان كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك » . وقد يكون سبب تعدد الروايات هنا هو تكرر القول.

ودارت رحى الحرب ، وأقبل المجاهدون لا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم ، ودارت الدائرة على أعداء الله وأعداء رسوله والمؤمنين ، وأخذ المشركون يسلمون أنفسهم للهلاك أو للفرار ، وسيطر المسلمون على الميدان بما فيه من غنائم وأسلاب .

وخيل الى الرماة أن الأمر قد انتهى ، ولم يبق لمرابطتهم معنى ، فقال منهم من قال : قد هزم أعداء الله ، فما لقعودنا ها هنا معنى .

فسارع بتذكيرهم وتحذيرهم أمير الرماة عبد الله بن جبير ، وقال لهم : ألم يقل لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبرحوا مكانكم وان هزمناهم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ؟ أنسيتم ما قاله لكم رسول الله ؟

فأجاب أكثرهم : قد انهزموا ، ولم يرد رسول الله

أن نبقى بعد أن اذل الله المشركين ؛ والله لنأتين الناس فلنصيبين من الغنيمة !! ...

***

واجتهد هؤلاء فكانوا مخطئين فى اجتهادهم ؛ وسارعوا بالنزول من قمة الجبل الى ساحة الميدان ؛ وبقى عبد الله بن جبير مكانه ، وبقى معه نحو عشرة . جاء فى (عيون الأثر) لابن سيد الناس : « وتكلم الرماة الذين على عينين (١) ، واختلفوا بينهم ، وثبت أميرهم عبد الله بن جبير فى نفر يسير دون العشرة مكانه ، وقال : لا أجاوز أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفنى ، ووعظ اصحابه وذكرهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا . قد انهزم المشركون ، فما مقامنا ههنا ؟ . فانطلقوا يتبعون العسكر ، وينتهبون معهم ، وخلوا الجبل » .

ولو وقف الأمر عند هذا الحد لهان الخطب ؛ وسهل الأمر ، ولكن مائتى فارس من المشركين على خيولهم قاموا بحركة تطويق للمسلمين ؛ بعد أن لاحظ قائد فرسان المشركين (٢) خلو الجبل من رماته ، وسارع هؤلاء الفرسان لطعن المسلمين من خلفهم ؛ فكانت النكبة ، وكانت الكارثة ، وأصاب المسلمين ما أصابهم من ابتلاء الله تعالى وتأديبه .

ولكن أمير الرماة عبد الله بن جبير الصادق الطاعة لله ولرسوله ثبت فى مكانه ؛ ولم يترك هؤلاء الفرسان يمرون دون مقاومة ، بل أقبل يصارعهم ويطاعنهم .

وبدأ أولا يرميهم بالنبال ، وهم صاعدون نحوه من خلف

(١) عينان : هضبة جبل أحد ، ويقال ليوم احد : يوم عينين .
(٢) هو خالد بن الوليد ، وكان لم يسلم بعد .

الجبل ، حتى نفدت نباله ، واقتربوا منه ، فأخذ يطعن فيهم بالرمح حتى تكسر ، فاستل سيفه ، وأخذ يضرب به حتى تكسر ، ثم أحاط به جمع منهم ، وأخذوا يسددون الى جسمه الضربات والطعنات ، حتى كثرت الجراح فى بدنه من كل جهة ، وخرجت أمعاء بطنه من جوفه ، وسقط شهيدا .

ومات بطلا ، وضرب فى الطاعة مثلا ، وذهب الى ربه كريما ليقول له : فى سبيلك يارب ، وفى سبيل دينك ، لقيت مصرعى ، مؤثرا ما عندك على ما عند الناس ، وما عند الله خير للأبرار ...

***

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام : ان الاحداث الأليمة فى غزوة أحد تشغلنا غالبا عن الوقوف أمام بطولة عبد الله بن جبير ، مع اننا فى أشد الحاجة الى تدبر مثل هذا الموقف الرائع ، لأن بطولة الفداء لا تؤتى ثمارها الا اذا التزم المجاهد المؤمن بأن يحقق الفرض الموكول اليه، أو يلقى ربه مجاهدا فى سبيله : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » .

وما أشد احتياجنا اليوم الى امثال أمير الرماة عبد الله بن جبير رضوان الله تعالى عليه . ذلك المجاهد الكريم الصادق ، الذى أحب نبيه وقائده الصادق صلوات الله وسلامه عليه ، والتزم أمره ، وحرص على طاعته حتى آخر رمق فى حياته العظيمة . فاستجاب فى ذلك خيرا استجابة لقول الحق جل جلاله : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » . وقوله تبارك وتعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

سلام عليه فى الخالدين .

المجاهد المسارع إلى الاستجابة
عباد بن بشر الأنصاري

اذا أشرق نور الايمان فى صدر انسان أقامه على طريق الحق ، وألزمه منطق الصدق ، وربطه ربطا وثيقا عميقا بمبادىء الخير وتعاليم البر ، فاذا هو فى قوله وعمله وتفكيره وتدبيره ، قد صار خاضعا للروح العبودية الصادقة لربه ، لا ينحرف عن طريقه ، ولا يتنكر لحق من حقوقه ، بل يظل مهتديا بهدى القرآن المجيد ، الذى يقول : « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

ولقد كان فى عهد الجاهلية أناس أخذوا الحياة كما أرادوا ، وأخذتهم الحياة كما أرادت ، فلما تجلى فضل الله العميم بظهور الاسلام العظيم ، هدى الله هؤلاء الى الطيب من القول ، والى صراط الحميد ، فاستقاموا على الطريق أمناء شرفاء أوفياء ، حتى مضوا الى الله بديع السموات والأرض ، ليلاقوا عنده ما أعده لهم من ثواب وجزاء : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة : الا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ، ولكم

فيها ماتدعون ، نزلا من غفور رحيم ، ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا ، وقال : اننى من المسلمين » .

***

ومن هؤلاء : الصحابى الفاضل ، والمؤمن العادل ، والعابد المجاهد ، والشهيد المجيد : أبو الربيع (١) عباد بن بشر بن وقش بن عبد الاشهل الخزرجي الانصارى رضوان الله تعالى عليه ، وقد ولد قبل الهجرة بثلاثة وثلاثين عاما .

وما كادت نسمات الاسلام تهب على المدينة المنورة حتى دخل عباد فى دين الله ، فصار من السعداء . وكان اسلامه على يد أول سفير فى الاسلام ، بعثه الرسول عليه الصلاة والسلام الى المدينة ، وهو مصعب بن عمير رضى الله عنه .

وحين جاءت الهجرة أقبل من مكة ثلاثة من المهاجرين، وهم : أبو حذيفة بن عتبة (٢) ، وسالم مولى أبى حذيفة، وعتبة بن غزوان المازنى ، ففتح لهم عباد بن بشر داره ، وقاسمهم ماله ، وآثرهم على نفسه ، لأنه كما ذكر القرآن من قوم « يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » ، وكان عباد تقيا متعبداً ، وقد ذكر صاحب « الاستيعاب » (ج ٢ ص ٤٤٧) ، أن السيدة عائشة قالت : تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى ، فسمع صوت عباد بن بشر فقال : يا عائشة ، صوت

---

(١) وقيل أيضا : أبو بشر .

(٢) انظر الحديث المفصل عنه فى كتابى : « أبطال عقدة وجهاد » ص ١١٥ ـ ١٢٥ .

عباد بن بشر هذا ؟ .

قلت : نعم .

قال : اللهم اغفر له .

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عباد وأبى حذيفة بن عتبة .

وانطلق عباد مجاهدا مناضـــلا ، لا يتخلف عن غزوة ولا مشهد ، منذ غزوة بدر حتى آخر المشاهد مع رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وروت السيرة العطرة انه كان يتولى حراسة رسول الله مع رفاق له حتى نزل قول الحق جل جلاله : « والله يعصمك من الناس (١) » .

كما كان عباد من اسرع المجاهدين استجابة لدعوة الرسول اذا نادى الى الحرب والجهاد ، فما يكاد يسمع هتاف الرسول : « يا خيل الله اركبى » ، حتى يكون فى طليعة الراكبين والنـــــافرين الى موطن التضحية والفداء ، والبصراء يعلمون أن الحـــرب عمادها السرعة والمبادرة وخفة الحركة، ولذلك عبر القرآن الحكيم عن دعوتها عادة بكلمة النفير الدالة على سرعة الخروج ، فقال : « انفروا خفافا وثقالا » .

***

وكان عباد بن بشر أحد أربعة قاموا بعمل فدائى دقيق، هو القضـــاء على طاغية اليهود الأثيم كعب بن الأشرف اليهودى ، الذى كان يحرض المشركين ضد المسلمين ، ويقول لهم : أنتم أهدى من المســـلمين سبيلا ، وكان يتطاول على أعراض المسلمين بالسب والقذف ، ويسب الرسول سبا فاحشا ، فقال النبى للصحابة ، من لى بكعب بن الاشرف فانه يؤذى الله ورسوله والمؤمنين ؟ .

(١) عيون الأثر لابن سيد الناس ، ج ٢ ص ٣١٧ .

فسارع الى ذلك محمد بن مسلمة ، وعباد بن بشر ، وسعد بن سلامة ، وعبد الرحمن بن جبر، قائلين : كلنا يارسول الله نقتله. وحقق أهل الاقدام والفداء ماوعدوا ، بفضل الله واهب التأييد والتوفيق .

وفى مصرع كعب بن الأشرف اليهودى ، يقول بطلنا عباد بن بشر :

صرخت به فلم يعرض لصـــوتى
وواقى طالعـــــا من رأس جدر
فعدت له فقال : من المنـــادى ؟
فقلت : أخوك عبـــاد بن بشر
وهذى درعنا رهنـــا فخـــذها
لشهر ، أن وفى ، أو نصف شهر
فقال : معاشر ســـغبوا وجاعوا
وما عـــدموا الغنى من غير فقر
فأقبل نحـــونا يهـــوى سريعا
وقال لنـــا : لقـد جئتم لأمر
وفى أيماننـــا بيض حـــداد
مدربة بهـــا الكفار نفـــرى
فعـــانقه ابن مســـلمة المردى
بهـــا الـكفار كالليث الهزبر
وشـد بسيفه صلتـــــا عليه
فقطـــره أبو عيسى بن جبر
فكان الله ســـادسنا ، فأبنـــا
بأنعم نعمـــــة ، وأعز نصر
وجاء برأســـه نفر كـــرام
همـــو ناهيك من صدق وبر (١)

(١) الاستيعاب على هامش الاصابة ج ٢ ص ٤٤٦ .

وكان عباد بجوار اتقانه الجهاد ومداومته عليه رجلا أمينا فى دينه ودنياه ، ولذلك كان الرسول يختاره ليبعثه الى القبائل ليأخذ منها حق الله فى المال وهو الزكاة ، وجمع المال مخبار دقيق لذمم الرجال .

وقد عاد رسول الله صلوات الله عليه وسلامه فجعل عباد بن بشر على مغـــانم « حنين » ، وقد كانت كبيرة ضخمة ، وهذا يفيد أن عبادا كان من الجنود الأوفياء الأمناء ، الذين ثبتوا مع رسول الله يوم حنين ، ذلك اليوم الشديد القاسى الذى هتف فيه الرسول عنــد الهول : أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ، وتلفت عن يمينه وشماله قائلا : يا معشر الانصـــار ، فاذا هم جميعا يسارعون بتلبية النداء واستجابة الدعاء قائلين : لبيك يا رسول الله ، نحن معك .

وكان بينهم المجاهد المسارع الى الاستجابة عباد بن بشر ، وتنتهى الغزوة يوم حنين بانتصار المسلمين بعد الشدة ، وكسبهم مغانم كثيرة ، ورأى النبى لحكمة بليغة أن يوزع أكثرها على المهاجرين الفقراء ، وعلى المؤلفـــة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار ، بل قال لهم قولته المباركة المشهورة : ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله الى رحالكم ؟ .. فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لـكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا ، وسلكت الأنصــــار شعبا ، لسلكت شعب الانصار ، اللهم ارحم الانصار ، وأبناء الانصار ، وأبناء أبناء الانصـــار ، فبكوا وقالوا : رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظا .

وقد روى عباد بن بشر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا معشر الأنصار ، أنتم الشعار ، والناس

الدثار ، فلا أوتين من قبلكم » .

***

وأقبلت غزوة تبوك ، فى وقت شـــديد الحر قليل المتاع ، بعد أن أنزل الله تعالى قوله : « يا أيهـا الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجـدوا فيكم غلظة ، وأعلموا أن الله مع المتقين » . وخرج عباد الى تبوك فى موكب الرسول عليه الصلاة والسلام ، حيث جعله النبى على حرسه ، فأعطى عباد بذلك دليلا جديدا على وفائه وحسن بلائه ، ولذلك لم يكن عجيبا أن يقول الامام السخاوى فى حقه « وكان فيه بلاء وغناء (١) » ، بل كان جديرا بقول الصـــديقة عائشة : « ثلاثة من الانصار ، لم يكن أحد يعتد عليهم فضلا ، كلهم من بنى عبد الاشهل ، سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وعباد ابن بشر » (٢) .

ولحق الرسول بربه ، بعد أن بلغ الرســالة ، وأدى الامانة ، وترك الناس على المحجة البيضـاء ، ليلهـا كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك ، وتولى أبو بكر خلافة الناس ، وجاءت معـركة اليمامة العصيبة (٣) ، التى استشهد فيهـا الكثيرون من حملة القرآن ، وحفظـة التنزيل ، وشهدها عباد بن بشر ، وكان من أبطالها ، ثم كان من شهدائها ، حيث لقى ربه فيها مجاهدا شهيدا مع أخيه فى الاسلام ، ورفيقه فى السلاح ، وزميله فى الجهاد أبى حذيفة بن عتبة ، رضوان الله على الجميع .

---

(١) التحفة اللطيفة . ج ٢ ص ٣٥٣ .

(٢) المرجع السابق ، وقد روى عن عباد أنس بن مالك . وهذا يدل على علمه وفقهه .

(٣) كانت معركة اليمامة فى السنة الثانية عشرة ، وكان عمر عباد عند استشهاده خمسا وأربعين سنة .

يا أتباع محمد عليه الصلاه والســـلام : المهم هو أن يعرف المسلم طريقه ، وأن يختار رفيقه ، فاذا اهتدى الى نعمة الايمان ، ووضع يده فى يد الصالحين المصلحين، عرف الطريق الى عز الدنيا ونعيم العقبى ، ويد الله مع الجماعة ، ولن تجتمع امة محمد على ضلالة ، والخير فيها بمشيئة الله الى قيام الساعة ، والله ولى العاملين .

مؤمنة وفت لدينها

رملة بنت أبى سفيان

اذا صدق ايمان الانسان احتمل فى سبيل عقيدته المتاعب والأهوال ، دون سأم أو ملال . ولعل مصيبتنا الكبرى هى التخلخل المعيب فى تديننا . وكأننا نكتفى بتسجيل ديننا فى شهادة الميلاد ، أو فيما نختار من أسماء ، ولا نتذكر أن هذا الدين يطالبنا بالوفاء له والغيرة عليه ، والاحتمال فى سبيله ، ولذلك ينبغى أن نشترك معا فى استعراض صورة من صور الايمان الصادق ، والاعتقاد الكريم ، لنرى كيف يصنع الايمان شتى الأعاجيب فى نفوس الذين استجابوا لله وللرسول : « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

وهذه الصورة تتجلى فى سيرة احدى النساء اللواتى شاركن فضلاء الرجال شرف الايمان واليقين : «فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » .

***

انها السيدة الجليلة أم المؤمنين أم حبيبة بنت ابى سفيان بن حرب ، وهو زعيم قريش وزعيم المشركين الى

(*) اسمها رملة ، وقيل هى هند ، والصحيح المشهور هو الاول ، وقاله الاكثرون (تهذيب الاسماء ج ٢ ص ٣٥٩) .

ما قبل فتح مكة ، ولـــكنها آمنت على الرغم من كفران أبيها حينئذ ، ولم يستطع أن يثنيها عن عزمها لتبقى مثله كافرة ، بل أظهرت استقلال شخصيتها ، وقوة ارادتها ، وأسلمت وجهها لله رب العالمين .

وتزوجت عبيد الله بن جحش (١) الذى اسلم مثلها ، وحينما اشتد طغيان الكفر على جنود الرحمن ؛ خرجت ام حبيبة مهاجرة فى سبيل الله تعالى الى أرض الحبشة مع زوجها المسلم ، وهناك ولدت له بنتا اسمها «حبيبة» وبها كنيت (٢) .

ومضت الأيام وأم حبيبة تحتمل — من أجل دينها وربها — متاعب الغـــربة والوحشة والبعد عن الأهل والوطن ، ثم شاءت الاقدار أن تجرى الشقوة الكبرى على زوجها عبيد الله ، فاذا هو يرتد عن الاسلام ، واذا هو يتنصر ، فيضل الضلال المبين ، بعد أن هداه الله سواء السبيل : « ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيـــا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

وحاولت أم حبيبة المرأة المسلمة المغتربة الوحيدة المهجورة من الأهل والأقارب أن تثنى زوجهـــا عن ضلاله ، وأن تثبته على الايمان فما استطاعت . وتتحدث هى بنفسها فتقول : رأيت فى المنام زوجى عبيد الله بن جحش بأسوأ صورة وأشوهها ، ففزعت ، فأصبحت فاذا به قد تنصر ، فأخبرته بالمنام ، فلم يحفل به ، وأكب على الخمر حتى مات .

---

(١) هذا غير أخيه عبد الله بن جحش الصحابى الجليل شهيد يوم أحد .

(٢) الاستيعاب على الاصابة (ج ٤ ص ٤٢١) .

ولقد حاول هذا المرتد التعيس بكل ما استطاع أن يحمل زوجته على ترك دينها ، وجعل يقول لها فيما يقول : يا أم حبيبة ، انى نظرت فى الدين ، فلم أر دينا خيرا من النصرانية ، وكنت قد دنت بها ، ثم دخلت فى دين محمد ، ثم رجعت الى النصرانية .

فأبت أم حبيبة كل الاباء ، ولسان حالها يقول : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » . وأراد أن يقيم معها فأبت وتركته ، ولذلك يقول التاريخ بالحرف الواحد : « وأبت أم حبيبة أن تتنصر ، وثبتها الله على الاسلام » (١) .

كان الله لهذه المرأة المسلمة المغتربة ، الوحيدة ، الصابرة . لقد تركت أم حبيبة اباها على كفره ، وأسلمت وجهها لله رب العالمين ، ضاربة بالتقليد الاعمى عرض الحائط ، ولقد تركت أم حبيبة وطنها مكة ، بعد أن لاقت مالاقت فى سبيل الله والاسلام ، وخرجت مهاجرة الى الحبشة فى الهجرة الثانية ، لتصون هذا الاسلام ، وتعيش له ، وتعتز به ، وتحيا فيه .

ولكن ها هو ذا الشقاء يلحق زوجها فيتنصر ، ويرتد عن الاسلام ، وتحاول بكل ما أوتيت أن تعيد اليه رشاده ، فلما يئست منه اعتزلته وفارقته ، وصارت غريبة وحيدة بلا رجل : فقدت الأهل والعشيرة ، وفقدت الوطن والبلد ، وفقدت الزوج والمسكن . فأين تولى وجهها ؟ وكيف تعالج أمرها ؟ فلتلق أمرها وزمامها بيد الله : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، أن الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدرا » .

---

(١) الاستيعاب على الاصابة ج ٤ ص ٢٩٨

وكان لابد من نجدة ، وليس هناك نجده أكرم ولا أعظم من نجدة تأتى من قبل رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقد سمع النبى بأمر أم حبيبة ، وعز عليه أن تلاقي كل مالاقت فى سبيل دينها وليس لها من ناصر ولا معين ، فقرر فى نفسه أن يتزوجها ، ليصون حرمتهـــا ، ويؤمن حياتها ، ولتنال العز الأكبر ، حين تصبح احدى أمهات المؤمنين .

وكأن الله أراد أن يثبت عزيمة أم حبيبة ، فرأت فى نومها من يناديها قائلا لها : يا أم المؤمنين ، فهزتها الرؤيا، وما كادت تنتهى عدتها حتى كان عندها من يعرض عليها زواجها من سيد الخلق أجمعين محمد النبى الأمين ، عليه أفضل الصلاة والسلام .

وأرسل النبى الى النجاشي ملك الحبشة وكان مسلما، يطلب اليه ان يزوجه أم حبيبة ، فأرسل النجاشي اليها جارية له اسمها « أبرهة » تقول لها : ان الملك يقول لك ان رسول الله صلى الله عليـــــه وسلم قـــد كتب اليه ليزوجك له ..

ففرحت أم حبيبة لأن هذا هو عز الدهر وغاية الفخر ، فقالت للجارية : بشرك الله بالخير ، ونزعت ما فى يديها ورجليها من حلى ، وأعطته للجارية فرحا وسرورا بمـــا بشرتها به .

واضافت الجارية : ويقول لك الملك : وكلى من يزوجك، فوكلت عنها خالد بن سعيد بن العاص لأنه ابن عم أبيها ، فكأنه عمها .

وجمع النجاشي لعقـــد العقد جمعا فى طليعته جعفر ابن أبى طالب والمهاجرون معه ، وقدم النجاشي اربعمائة دينار (اربعة آلاف درهما) مهرا لها نيابة عن الرسول

صلى الله عليه وسلم . وخطب النجاشي وخطب خالد .
ذكر الامام ابن عبد البر فى كتـــابه « الاستيعاب » ان النجاشي خطب فقال : « الحمــــد لله الملك القـدوس السلام ، المؤمن المهيمن ، العزيز الجبار المتكبر . أشـــهد ان لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، وانه الذى بشر به عيسى بن مريم ، صــلى الله عليــه وآله وسلم .

أما بعد ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى ان أزوجه أم حبيبة بنت ابى سفيان فأجبت الى مادعا اليه رسول الله صلى الله عليـــــه وآله وسلم ، وقــد اصدقتها أربعمائة دينار » .

ثم سكب الدنانير أمام القوم .

وتكلم خالد بن سعيد ، فقال :

« الحمد لله ، أحمده واستعينه ؛ واشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون .

اما بعد ، فقد أجبت الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان، فبارك الله لرسوله عليه السلام » .

ودفع النجـــاشى الدنانير الى خالد بن ســـعيد ، فقبضها (1) .

وصنع النجاشي لهم وليمة طعام ، ثم ارسل أم حبيبة الى الرسول معززة مكرمة ، ومعهــا شرحبيل بن حسنة رضوان الله عليه ، وكانت على أبواب الاربعين من عمرها، وكان ذلك سنة ست أو سبع ، وهناك فى المدينة انضمت

(1) كتاب الاستيعاب ج ٤ ص ٤٢٢ .

أم حبيبة الى تلك الكوكبة المشرقة من زوجات الرسول أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن .

***

وظلت أم حبيبة تجعل لدينها المكان الأول ، وتفضل عقيدتها على القرابة والعصبية ، ومما يدل على ذلك ان والدها أبا سفيان دخل عليها وهى زوجة للرسول فى المدينة ، محاولا أن يستعين بها فى مد عهد الحديبية ، بعد أن خان المشركون خيانتهم ، وأراد أبو سفيان أن يجلس على فراش النبى صلى الله عليه وسلم ، فطوته أم حبيبة، وابعدته عن أبيها ، فتعجب لذلك وسألها ، فقالت له : هذا فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانت امرؤ نجس مشرك ، فلا يجوز لك أن تجلس عليه .

فما ملك أبو سفيان نفسه ، بل قال : لقد أصابك من بعدى شر يا ابنتى .

ووالله ما أصابها الا الخير ، فقد قال سيد الخلق : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » . ويقول : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود الى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار ، وهكذا رأينا كيف يكون صدق الايمان والاعتزاز بالاسلام .

ولو كان النساء كمثل هذى
لفضلت النساء على الرجال

فهلا سألنا أنفسنا عن مدى اعتزازنا بديننا ، وحرصنا على اسلامنا ؟ . وهلا تدبرنا قول الحق جل جلاله : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » . وهلا فكرنا فى أن نعود الى صراط العزيز الحميد ؟ .

الشهيد الممزق الأشلاء
هشام بن العاص

اذا كان صغار النفوس عند طوائف من الناس يدعوهم الى أن يعيشوا عيشة البهائم والأنعام ، فهم لا يعنيهم من حياتهم الا أن يسبحوا فى ملذاتهم ، ويغرقوا بين شهواتهم ، وهم يتهارشون تهارش الكلاب ، ويتناحرون تناحر الذئاب ، على المغنم الرخيص ، أو المطلب الخسيس ، فان لله تعالى عبادا أوجدهم ليكونوا النماذج الحية للبشرية الفاضلة ، التى براها مبدعها وسواها ، وسما بمكانتها فأعلاها ، فكانت مصداقا لقوله عز من قائل : « ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

ونحن نتطلع الى سير هؤلاء الأماجد ، فاذا هم أصفياء فى طباعهم ، أطهار فى سلوكهم ، مؤمنون بربهم ، مجاهدون فى سبيله ، بلا غرض أو مرض أو عرض ، لا يشغلهم عن رسالتهم النبيلة شاغل ، ولا يحول بينهم وبين رضا ربهم حائل ، فقد آثروه على الاهل والولد ، وعلى السبد واللبد ، وأخلصوا لله وجوههم ، فهم لا يريدون سواه ، ولا يتوجهون الى غير حماه ، وشعار كل منهم هو قول مولاه : « قل الله ، ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » .

وهذا واحد منهم :

انه الصحابى الفاضل ، الخير الصالح ، المجاهد الطالب للشهادة : أبو مطيع (١) هشام بن العاص بن وائل بن هشام القرشى ، السهمى ، وأمه هى : أم حرملة بنت هشام بن المغيرة . وقد أسلم بمكة قديمـــا ، واحتمل ما احتمله المسلمون من عنت الشرك وبغى الكفر ، حتى أضطر الى أن يهاجر الى أرض الحبشة مع الفوج الثانى من المهاجرين الغرباء .

وحينما أقبلت هجرة المصطفى صـــلوات الله وسلامه عليه الى المدينة سارع هشام بالعودة الى مكة ليكون من وراء المهاجر العظيم ، واتفق مع عمر بن الخطاب وعياش ابن أبى ربيعة على التلاقى عند مكان حددوه (٢) ليهاجروا معا ، ولكن عمر استطاع أن يهاجر، أما رفيقاه فقد قبض عليهما جمع من المشركين وسجنوهما فى مكة (٣) .

وظل هشام سنوات فى سجنه ، يتحمل ما يلقاه من صنوف الايذاء والتعذيب .

وكان الرسول عليه الصـــلاة والسلام يدعو لهشام السجين ، كما كان يدعو لأمثاله فى قنوت الصلاة ، فيقول والمســـلمون من ورائه يؤمنون على دعائه : « اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين من المؤمنين ، اللهم أشدد وطأتك على مضر ،

---

(١) يروى أن كنيته كانت : أبا العاص ، فكناه الرسـول صلى الله عليه وسلم : أبا مطيع .

(٢) اتفق الثلاثة على التلاقى عند « اضاءة بنى غفار » . والاضاءة أو الاضاة ـ تمد وتقصر ـ هى الغدير ، واضاءة بنى غفار كانت خارج مكة على بعد بضعة أميال منها (الدرر ص ٨٢) .

(٣) يقول ابن عبد البر وهو يتحدث عن محاولة هشام الهجـــرة : فقطن لهشام قومه ، فحبسوه عن الهجرة » (الدرر ص ٨٢) .

واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » . واستجاب الله دعاء رسوله ، فنجا هؤلاء المعذبون فى الارض .

وتروى السيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لأصحابه : من لى بعياش بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاص ؟ .

فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة الذى كان قد نجا من قبل : أنا لك يا رسول الله بهما . وذهب الى مكة مستخفيا ، واستطاع بلباقة وخفة أن يعرف مكان السجينين ، وتسلق عليهما الجدران ، وقطع قيودهما ، وحملهما على بعير له سرا ، وقدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك بعد غزوة الخندق .

***

وواصل هشام بن العاص نضاله مع ركب النبوة وموكب الرسالة ، وشهد الكثير من المشاهد والمعارك ، وأرسله النبى قائدا لسرية فى شهر رمضان قبل فتح مكة ، فصاحبه التوفيق .

ومن العجيب فى أمر هشام أنه كان أخا من جهة الأب لعمرو بن العاص البطل الاسلامى المشهور ، وكان هشام أصغر سنا من عمرو ، ومع ذلك أسلم الصغير قبل الكبير ، فبادر هشام الى الاستضاءة بنور الله عز وجل الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة .

ورأينا كتيبة الايمان تنتظم هشاما قبل الهجرة بسنوات ، أما عمرو فتقاعس وتخلف لأمر يعلمه الله تعالى ، فلم يدخل فى الاسلام الا فى السنة السابعة ـ أو الثامنة ـ بعد الهجرة (١) ، وربك يخلق مايشاء ويختار ، فليست الأسبقية فى الهداية والرشاد بالسن ، وانما

(١) تهذيب الاسماء واللغات للنووى ، ج ٢ ص ٣٠ .

المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، وكم من صغير لاحظته عناية ربه ففاق غيره ممن يكبرونه سنا أو لحما وعظما .

وكان عمرو لا ينكر فضل أخيه هشام ولا يطويه ، بل يتحدث عنه ويبديه ، ولقد حدثنا عمرو فيما حدث أنه شارك أخاه فى احدى المعارك ، فأعان كل منهما أخاه على الاستعداد للمعركة ، ويقول عمرو : « ثم عرضنا أنفسنا على الله ، وكلنا يسأل الله الشهادة ، فقبله الله وتركنى، وحرمتها ورزقها » .

وكان عمرو يذكر أخاه بعد استشهاده من حين الى حين ، ويقول منوها بفضله وأسبقيته : « أسلم قبلى واستشهد وبقيت » .

واذا كان لعمرو بن العاص مايؤخذعليه ، أو ما يراجع فيه ، فان ذلك لا يلغى أنه كان علما من أعلام الاسلام ، وبطلا من ابطال المسلمين فى الفتوح والمعارك . وقوله عن أخيه : « واستشهد وبقيت » قد نفهم منه أنه كان ينظر الىموطنالشهادة على أنه موطن تكريم وتمجيد من الله لعبده الشهيد ، ولقد روى الترمذي والنسائى والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ابنا العاص مؤمنان : هشام بن العاص وعمرو بن العاص » .

***

ولحق الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم بربه جل جلاله ، وظل هشام على مسيرته فى النضال والكفاح ، ووثق أبو بكر رضى الله عنه بعقل هشام وحسن تدبيره ، فأرسله الى ملك الروم ليفاوضه فى بعض الأمور ، فكان سفيرا موفقا للخليفة الاول ، ثم اقبلت معركة اجنادينالتى وقعت فى السنة الثالثة عشرة للهجرة ، وأجنادين موضع فى أرض فلسطين ــ اين الآن فلسطين ياجموع المسلمين ،

ردها الله على العرب المؤمنين ـ وخرج هشام بن العاص ضمن المجاهدين فيها مع أخيه عمرو ، ودارت رحى الحرب بين كتيبة الايمان وجموع الشر والطغيان .

وأبلى هشام يومئـذ بلاء حسنا ، وحينما رأى ضعفا عارضا لبعض المقاتلين ، سيطرت عليه الحماسة ، فاندفع نحو صفوف العدو وهو يهتف برفقائه فى الايمان والسلاح قائلا : « يامعشر المسلمين ، أنا هشام بن العاص ، أمن الجنة تفرون ؟ » .

وما زال يقاتل ويصاول وينازل ، حتى سقط شهيدا فى أرض المعركة (١) ، وشاء القدر أن تقع جثة البطل الشهيد فى مضيق لا يعبره الا انسان بعد انسان ، واضطر فرسان الاسلام بسبب غليان المعركة أن يطئوا جسمه بخيولهم .

وكان هذا اشتد على البعض فقـال أخوه عمرو وكان من المجاهدين الثابتين فى المعركة : « أيها الناس ، أن الله قد استشهده ، ورفع من روحه » .

وانتظر عمرو حتى انتصر المسلمون ، وعزت يومئذ كلمة الاسلام ، ثم ذهب الى ساحة المعركة ، يبحث عن أشلاء أخيه : عن أعضاء المجاهد الشهيد المبعثر الأجزاء ، وأخذ يجمعها ويلمها ، ثم حملها وواراها التراب على حالتهـا ، ليجمعها الله بقدرته ، ويبعثها بسلطانه ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

بأمثال هذه الأشلاء التى تمزقت وتبعثرت من أجسام المناضلين الشهداء ، قام بناء الاســلام الضخم الذى عز وساد وقاد ، يوم كان له من يضحى فى سبيله بكل عزيز ونفيس ، وحاضر الأمة من ماضيها ، فهل من سبيل الى عودة لهذا الماضى الجليل ؟ .

(١) يقول ابن كثير عن هشام : « وقتل بأجنادين ، وقيل باليرموك ، والاول أصح ، والله أعلم » . البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٥ .

أول شهيد من الأنصار
عمير بن الحمام

ان الخطوة الأولى فى اى طريق جديد مجيد تكون لهـا قيمتها ومكانتها ، لأنها فتح وريادة ، وقدوة وأسوة ، وكلما كان الطريق الجديد المجيد محفوفا بالمخاطر أو الأهوال ، زادت الخطوة الاولى فيه قيمة ومكانة ، فاذا كانت هذه الخطوة الأولى تضحية بالنفس وبيعا للروح ، وتقبلا للموت فى سبيل العقيدة والحق ، بلغ صاحبها القمة ، واستولى على الذروة ، لأنه يضرب بها مثلا رائعا فى الوفاء والفداء : « والجود بالنفس أقصى غاية الجود » .

ولقد حفظ لنا تاريخ الاسلام كثيرا من « الأوليات » التى تحدثنا عن خطوات فواتح لطرق خير ونصر ، فخديجة هى أول من أسلمت من النساء .

وأبو بكر هو اول من أسلم من الرجال .

وعلى هو أول من أسلم من الفتيان .

وسعد بن أبى وقاص هو أول من رمى بسهم فى سبيل الله .

وعبيدة بن الحارث هو أول فدائى عقد له لواء فى الاسلام ... وهكذا .

ولقد تكون الخطوة الاولى غير لافتة للنظر عند حدوثها،

ولكن فتحها للباب الجديد ، واعطاءها القدوة البكر لمن وراءها ، تجعلهاطيبة الخبر، عظيمة الأثر، موصولة الثمر، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « من سن سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » .

***

وهذا صاحب « أولية » حميـدة مجيـدة فى تاريخ الاسـلام . انه الصحابى المجـاهد ، والمؤمن العـابد ، والشهيد الماجد : عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب الأنصارى ، من بنى سلمة من الأنصار .

وقد كان من الذين سـارعوا الى نداء الحق ودعوة الصدق ، فدخل فى دين الله عز وجل ، فاستحق أن يكون من أولئك الذين مجـد الله مسارعتهم وسبقهم ، فقال فيهم : « والسـابقون الاولون من المهـاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » .

وحينما تمت الهجرة من مكة الى المدينة ، آخى رسول الله عليه صلوات الله وسلامه بين عمير بن الحمام وعبيدة ابن الحارث (١) ، وعبيدة هو صاحب أول لواء عقـده الرسول لأمير سرية تجاهد فى سبيل الله .

ولقد أسلم فى صدر الدعوة ، قبل أن يدخل النبى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وكان له قـدر ومنزلة عنـد الرسول (٢) ، وهكذا تلتقى الابطال بالابطـال ، وتقترن

---

(١) الدرر لابن عبد البر ص ٩٩ .

(٢) اقرأ تفاصيل بطولته فى كتابى « فدائيون فى تاريخ الاسلام » ص ٧٠ ـ ٧٦ .

الرجال بالرجال ، وتقع الصقور على الصقور ، وتجتمع النسور بالنسور ...

ومضت شهور وشهور على هذه المؤاخاة الكريمة العظيمة فى الله عز وجل . وآن للمسلمين أن ينتصفوا ممن ظلموهم وهضموهم ، وأخرجوهم من وطنهم وديارهم ، واستولوا على أموالهم وعقارهم ، فجاءت غزوة بدر الكبرى فى السنة الثانية من الهجرة ، وسارع اليها الأخوان المؤمنان ، والزميلان المتماثلان ، والفدائيان الوفيان : عمير بن الحمام وعبيدة بن الحارث ، وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم قبيل المعركة يحث المسلمين على النضال ، ويحرضهم على القتال ، امتثالا لأمر ربه تبارك وتعالى الذى يقول له : « يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ، يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ... » . ويقول : « فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا .

وقال النبى فيما قال لأصحابه : « والذى نفسى بيده لا يقاتلهم (يعنى الأعداء) رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر، الا أدخله الله الجنة» . ومحتسبا : أى ناويا بعمله وجه الله وحده .

وفى حديث عمر : « أيها الناس ، احتسبوا أعمالكم فان من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته» (١) ، وغير مدبر: أى غير فار أو منهزم ، ومنه قول القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ... »

وسمع عمير بن الحمام ما قاله أصدق الأنام عليه

---

(١) أنظر « فدائيون فى تاريخ الاسلام » ص ٧٠ .

الصلاة والسلام ، فقال معجبا : « بخ بخ » . وهى كلمة تدل على التعجب ، ثم قال عمير : « أفما بينى وبين أن ادخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء » ؟ .

وكان يأكل من تمرات قليلة فى يده ، فألقاها ، وأخذ سيفه وسارع الى الميدان يقاتل ، حتى قتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر .

وفى رواية أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال يومئذ : « قوموا الى جنة عرضها السموات والارض » .

فقال عمير : بخ بخ . وسمعه الرسول عليه الصلاة والسلام فقال له : لم تبخبخ ؟ (أى مم تتعجب ؟) .

فأجابه : لا والله يا رسول الله ، الا رجاء أن أكون من أهلها .

وكانت معه تمرات يأكلها فقال : والله ان بقيت حتى آكل تمراتى هذه انها لحياة طويلة . وألقى التمرات ، وجرد سيفه من غمده ، ومضى يقاتل فى سبيل الله وحده وهو يردد قوله :

ركضا الى الله بغير زاد
الا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد
وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

وفى رواية أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض .

فقال عمير : يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟

فقال رسول الله صلوات الله عليه وسلامه : نعم .

فقال عمير : بخ بخ ! فقال الرسول : ما يحملك على قول : بخ بخ ؟

قال : لا والله ، يا رسول الله ، الا رجاء أن أكون من أهلها .

قال : فانك من أهلها .

فأخرج عمير تمرات ، وأخذ يأكل منها ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه انها لحياة طويلة .

والقى التمرات ، وخرج الى حومة الوغى .

وصدق عمير وعده ، وأوفى عهده ، وظل يقـــاتل محتسبا قتاله لوجه الله ، غير ناظر الى شيء من متاع الحياة ، مقبلا على موطن الاستشهاد ، غير مدبر عن ميدان الجهاد ، حتى لقى ربه كريما عظيما ، فكان أول شهيد يفوز بنعمة الشهادة من الأنصار (١) .

وكما فاز عمير بالشهادة فى غزوة بدر فاز بها رفيقه فى الجهاد ، وأخوه فى الله : عبيدة بن الحارث (٢) ، الذى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشهد أنك شهيد » . وهكذا يعيش الأخيار معــــا متصاحبين على الحق والصدق . ويمضون معا الى ربهم على طريق الوفاء والفداء ، ويبعثون يوم القيامة معا لينعموا برضا من الله ورضوان : «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين» . رضوان الله عليهم أجمعين (٣) .

---

(١) قتله خالد بن الاعلم العقيلى ، ويقال ان أول قتيل من الانصار حارثة بن سراقة (عيون الاثر ، ج ١ ص ٢٥٧) وانظر قصة حارثة فى كتابى (فدائيون فى تاريخ الاسلام ، ص ٢٨٣ ــ ٢٨٧) .

(٢) الطبقات لابن سعد ، ج ٣ ص ١٠٨ القسم الثانى . وانظــر « فدائيون فى تاريخ الاسلام » . ص ٧٥ .

(٣) تروى السيرة أنه ليس لعمير بن الحمام عقب أى ذرية (الطبقات ج ٢ ص ١٠٨ القسم الثانى) .

يقول امام البلغـــــاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه : « انه ليس لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها » .
وهكذا فعل عمير بن الحمـام ، فحينما تهيأ له موقف الشهادة بذل نفسه لربه ، لينال ثمنها عنده وهو الجنة ؛ وكأن الايمان بالحياة الباقية وبنعيم الله هو مفتاح الوفاء والفداء ، ولو آمن الأخلاف كما آمن الأسلاف . لاقبلوا على حياض المنايا يشربون منهـــــا كئوس التضحية والاستشهاد ، لينالوا خير الجزاء من رب العبـــاد : « وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم » .

المجاهد المحب للقيادة
عمرو بن العاص

الكمال لله وحده ، وكل امرىء منا له نصيبه من العيب أو النقص ، وجل المنزه عن الاخطاء ، وما فينا من احد الا ويؤخذ منه ويرد عليه ؛ وبين الخطأ والصواب يظل باب العودة بالتوبة والانابة مفتوحا أمام العباد : « والذين اذا فعلوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم ، ذكروا الله ، فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » .

ونحن فى أوقات تعبئة الهمم ، وأثارة العزائم ، نحتاج الى اظهار الحسنات وابراز المكارم ، أكثر من حاجتنا الى تعداد السيئات ، وذكر المآثم .

واذا كان هناك أناس يتلمسون العيوب لأهل الفضل ، ويطيرون بها فرحا ، ويرددون المثالب ، ويعكفون على المعايب ، ليزيدوا الطين بلة ، والتثبيط شراسة ، والطريق ظلاما أمام السائرين ، فان أهل الرشاد والصواب يعنيهم أولا أن يتابعوا الصفحات المشرقة من سير الاسلاف ، ويرددوا عنها الحديث ، ليبعثوا بها هامدا ، أو يحركوا بها جامدا ، تاركين ما صدر عن هؤلاء الأسلاف من زلل أو خطل الى رب الأرباب ، وصاحب الحساب جل جلاله ، والله من ورائهم محيط .

على هذا السنن الواضح نمضى فى استعراض السلسلة المضيئة من أعلام رجالنا ، الذين كان لهم نصيبهم فى ميدان البطولة والتضحية والفداء . فماذا يضيرنا لو تعرفنا الى الجوانب المضيئة المشرقة فى سيرة عمرو البطل الفاتح ، والمقاتل الماهر ، والمجاهد المغرم بالقيادة ، وصاحب الفضل فى تحرير ارض فلسطين من أيدى الروم ؟ ..

انه أبو عبد الله (١) عمرو بن العاص بن وائل القرشى السهمى ، ولا ريب فى أنه كان شديد العداوة للاسلام والمسلمين وهو فى ظلمات الجاهلية ، وأنه تأخر عن دخول الاسلام حتى السنة السابعة للهجرة ، حيث أسلم عام خيبر ، بل قيل انه أسلم فى صفر سنة ثمان قبل فتح مكة بستة أشهر ، ولكنه قدم على النبى طائعا مختارا ، مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة فأعلنوا اسلامهم ، واعتز بهم جميع المسلمين .

وبعد قليل علم الرسول أن قبيلة قضاعة تتهيأ للانقضاض على المدينة ، فأرسل عمرو بن العاص قائدا لكتيبة عددها ثلاثمائة مجاهد فى غزوة ذات السلاسل (٢)، ورأى عمرو أن الأعداء كثيرون ، فاستنجد بالرسول ، فأمده بمائتى مجاهد ، فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة من كبار المهاجرين ، وقد انتصر عمرو فى هذه السرية على قضاعة ، وأبلى فيها بلاء حسنا ، وكانت هذه أول مرة تبدو فيها عبقريته العسكرية .

---

(١) وقيل : أبو محمد ، ويقول النورى عن كلمة « العاص » ان الجمهور على كتابتها بالياء (العاصى) وهو الفصيح عند أهل العربية، وتقع فى كثير من كتب الحديث والفقه - او أكثرها - بحذف الياء وهي لغة . (تهذيب الاسماء ج ٢ ص ٣٠)

(٢) ذات السلاسل اسم لموضع فيه ماء بأرض جذام ، من مشارف الشام .

ويروى ان الرسول قال لعمرو عند بعثه وكأنه يختبره: يا عمرو ، انى أريد أن ابعثــــك على جيش فيغنمك الله ويسلمك .

فقال عمرو : انى لم أسلم رغبة فى المال .

فقال رسول الله : نعم المال الصالح للرجل الصالح .

***

ومن عبقريته العسكرية فى غزوة ذات السلاسل أنه بعد أن هزم أعداءه أراد رفاقه فى السلاح أن يتوغلوا فى أرض العدو فمنعهم . خشية أن يقعوا فريسة لكمائن تفاجئهم على الطريق ، وارادوا أن يشعلوا نارا بالليل للتدفئة ــ وكان الجو باردا ــ فمنعهم مشددا فى المنع ، لأنه خشى أن يلحظ الأعداء قلة عددهم فيكروا عليهم ، والحرب يقظة وانتباه وتقدير لكل احتمال .

وواصل رسول الله الانتفاع بطاقات عمرو بن العاص ، فارسله واليا على عمان فى ذى الحجة سنة ثمان للهجرة ، فكان سببا فى اسلام الكثير من اهل عمان ، وظل واليا عليها حتى لحق الرسول بربه .

وهنا أقبل طوفان الردة ، فاختـــار أبو بكر عمرو بن العاص ليكون أحد القادة للجيوش المجاهدة ضد المرتدين، ويروى أن عمرو بن العـــاص قال لأبى بكر حينما أراد الاستعانة به : « أما بعد فانى سهم من سهام الاسلام ، وانت ــ بعد الله ــ الرامى بها ، والجامع لها » .

وأظهر عمرو عبقريته فى حروب الردة مع غـــيره من القواد ، حتى دفع الله بلاء هذه النكبة عن كاهل الاسلام ومجتمع المسلمين ، وهنا أرسله أبو بكر قائدا للجيش فى الشام ، فجاهد قدر استطاعته .

ثم أقبل عمر بن الخطاب ، فواصل الانتفاع بعبقرية عمرو ، وكان للروم قائد مشهور هو أرطبون (١) وقد بلغ من ثقة عمر بعمرو بن العاص القـــائد ان قال قولته المشهورة : « قد رمينا أرطبون الروم ، بأرطبون العرب، فانظروا عم تنفرج » .

وكان عمرو عند ظن ابن الخطاب به فتغلب على أرطبون الروم وهزمه ، فى معركة أجنـــادين سنة خمس عشرة للهجرة .

ثم أخذ عمرو بن العاص يحرر الكثير من بلاد فلسطين المحتلة بالروم ، فحرر غـزة ، واللد ، ونابلس ، وبيت جبرين ، وبيت المقدس (القدس الآن) .

ولذلك جعله عمر بن الخطاب واليا على فلسطين ، وظل عليها حتى شرح الله صدر الفـــاروق لفتح مصر باسم الاسلام ، فكان هذا الواجب الثقيل الجليل من نصيب البطل الفاتح عمرو بن العاص ، وبذلك استحق الولاية عليها (٢) وعن طريق هذا الفتح من الله على أجدادنا فى مصر بنعمة الاسلام ، واكرم بها من نعمة يعرف قدرها أهل الايمان واليقين .

ولقد كان عمرو رجلا صاحب شجاعة أدبية ، كما كان صاحب شجاعة ميدانية ، ولعل ذلك هو الذى دعاه الى أن يخبرنا مثلا بأنه ظن حينما أمده الرســول فى ذات السلاسل بمدد فيه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة أن الرسول بهذا الامداد يفضله أو يقدمه على هؤلاء ، وذهب عمرو ـ

---

(١) يقال أصل اسمه « أريطيون » فنطقه العرب أرطبون .

(٢) ظل عمرو بن العاص واليا على مصر حتى توفى عمر بن الخطاب، وبقى واليا عليها أربع سنوات من عهد عثمان بن عفان ، ثم عزله عنها ، فاعتزل عمرو فى فلسطين ، ثم أعاده معاوية الى ولاية مصر ، فظـل فيها حتى توفى سنة ٤٣ هجرية .

كما يحدثنا عن نفسه ـ الى الرسول صلى الله عليه وسلم وجلس بين يديه وقال له : يا رسول الله ، من أحب الناس اليك ؟ ..

قال : عائشة .

فقال عمرو : انى لست أسألك عن أهلك يارسول الله.

فقال النبى : فأبوها .

قال عمرو : ثم من ؟ ..

قال النبى : ثم عمر .

وجعل عمرو يسأل والرسول يجيب باسم شخص غير عمرو ، حتى عدد طائفة من الرجال .

فسكت عمرو وقال فى نفسه : لا أعود أسأل عن هذا .

انها قوة الشخصية التى تدفع بعمرو الى أن يذكر مثل هذا للناس ليبقى فى التاريخ .

وجاءت ساعة الرحيل ، ورقد عمرو على فراش الموت، وأخذ يدعو ربه فيقول نادما راجيا : اللهم أمرتنى فلم أأتمر ، ونهيتنى فلم أنزجــــر ، ولست قويا فأنتصر ، ولا بريئا فأعتذر ، ولا مستكبرا بل مستغفرا ، لا اله الا أنت . فلم يزل يرددها حتى مات (١) .

جاء فى صحيح الامام مسلم :

عن ابن سماسة المهدى قال :

حضرنا عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وهو فى سياقة الموت ، فبكى طويلا ، وحول وجهه الى الجدار ، فجعل ابنه يقول له :

---

(١) هناك خلاف فى وفاة عمرو . قيل سنة ٤٣ وقيل سنة ٤٢ وقيل سنة ٤٤ وقيل سنة ٥١ والاول أصح كما يقول النووى (تهـــذيب الاسماء ج ٢ ص ٣٠) وكما يقول غيره من المؤرخين .

يا أبتاه ، أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا ؟ ..

أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا ؟ ...

فأقبل بوجهه فقال :

ان أفضل ما نعد : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انى كنت على أطباق ثلاث :

لقد رأيتنى وما أحد أشد بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منى ، ولا أحب الى ان أكون قد استمسكت منه فقتلته ، فلومت على تلك الحال لكنت من أهل النار .

فلما جعل الله الاسلام فى قلبى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ابسط يمينك فلأبايعك .

فبسط يمينه ، فقبضت يمينى .

فقال : مالك يا عمرو ؟ ..

قلت : أردت أن أشترط .

قال : تشترط ماذا ؟ ..

قلت : أن يغفر لى .

قال : أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ ..

وما كان احد أحب الى من رسول الله صلى عليه وسلم ، ولا أجل فى عينى منه ، وما كنت أطيق أن املأ عينى منه ، أجلالا له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ، لأنى لم أكن املأ عينى منه ، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة .

ثم وليت أشياء ما أدرى ما حالى فيها .

فاذا أنامت فلا تصحبنى نائحة ولا نار ، فاذا دفنتمونى فسنوا على التراب سنا (١) ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ، ويقسم لحمها ، حتى استأنس بكم ، وانظر ماذا أراجع به رسل ربى (٢) .

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام .

يأتى الحــــــلو على المر فيمحوه : « أن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين » ، وقد بذل أسلافنا جهودهم ، وحفظوا عهودهم قدر طاقتهم ، فغفر الله لهم ما فرط منهم ، وضاعف أجرهم وثوابهم ، فليت الخلف يختط طريق السلف ، وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) سن الماء على وجهه : أي صبه ، ومعنى عبارة عمرو : ضعوا التراب على جسدى وضعا سهلا .

(٢) قال النووى فى كتابه « تهذيب الاسماء واللغات » عن حديث عمرو بن العاص هذا : « وفى وفاته حديث مليح فى كتاب الايمان من صحيح مسلم » ج ٢ ص ٣١ .

الناســـك المجاهـــد

عبد الله بن عمرو بن العاص

اذا كان الله تبارك وتعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » ، فانه أيضا قد قال : « انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ، أن كنتم تعلمون » . واذا كان رسول الله صلوات الله عليه وسلامه قد قال : « اتق الله حيثما كنت » ، فانه أيضا قد قال : « لغـــدوة فى سبيل الله أو روحة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب » .

ولقد رسم لنا الرسول منهج المسلم الفاضل فى هذه الحياة حين قال : « ليس خيركم من ترك دنياه لأخراه ، ولا من ترك أخراه لدنياه ، ولكن خيركم من عمل لهذه وتلك » . ثم ضرب الرسول القدوة فى ذلك من نفسه فقال : « أنا أصـــوم وأفطر ، وأصلى وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

ونحن حين نتواصى باقامة مجتمعنا على قاعدتى العلم والايمان ، ينبغى لنا أن نتذكر أن العلم يرمز الى القوة التى تجعل أبناء الاسلام يحيون فى الدنيـــا أعزاء شرفاء سعداء ، وأن الايمان يشير الى النور الالهى الضابط لهذه

القوة الموجه لها الى خيرى الدنيا والآخرة ، وان العلم حين يصفو ويعلو يفجر ينابيع اليقين فى صدر الانسان ، ولذلك يقول الرحمن : « انما يخشى الله من عبـــــاده العلماء » .

واعجاب الانسان مستمر دائم بأولئك السابقين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين نجد الواحد منهم يذوب خشية وعبادة لربه فى محرابه ، كأنه لا شاغل له سوى التعبـــد والتهجد ، فاذا نادى المنادى : حى على الجهاد ، نقل محرابه الى الميدان ، وجاهد فى سبيل ربه خير الجهاد ، ثم بذل جهوده هنـــا وهناك فى مسالك الحياة وشعابها ، صالحا مصلحا ، راغبا أن يكون عند الله من المقبولين : « والسابقون السابقون ، أولئك المقربون فى جنات النعيم » .

***

وهذا واحد من أولئك الكرام العظام :

انه الصحابى الجليل ، الناسك المجاهد، أبو محمد (١) عبد الله بن عمرو بن العاص (٢) ، الذى يصفه أبو نعيم فى (الحلية) بقوله : « القوى الخاشع ، القارىء المتواضع، صاحب الصيام والقيام عبد الله بن عمرو بن العاص. كان بالحقائق قائلا : وعن الاباطيل مائلا ، يعانق العمل، ويفارق الجدل ، يطعم الطعام ، ويفشى الســــــلام ، ويطيب الكلام » (٣) .

---

(١) وقيل : أبو عبد الرحمن ، وقيل أبو نصير (بضم النون) .

(٢) وأمه هى : ريطة بنت منبه بن الحجاج . أسلمت . وقالوا : وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : نعم أهـــل البيت عبدالله وأبو عبدالله وأم عبدالله . (تهذيب الاسماء ج ١ ص ٢٨١) .

(٣) حلية الاولياء ج ١ ص ٢٨٣ .

ويقول عنه الذهبي : « كان دينا صالحا ، كثير العلم كبير القدر (١) » . وأعطى عبد الله العلم حقه منذ بداية الطريق ، فتعلم وهو فتى فى الجاهلية ، وكتب وقرأ كثيرا ، وأحسن اللغة السريانية ، وكان بجوار عنايته الفائقة بشأن القرآن الكريم يطلع على كتب الأديان الأخرى كالتوراة ليحيط بأمرها علما ، وكان يأخذ الحكمة من أى وعاء خرجت .

وقد سارع الى الدخول فى دين الله بعد أن درسه وأيقن به ، وقد أسلم قبل إسلام أبيه عمرو بن العاص (٢) . وكان يتابع نزول القرآن المجيد ، وكلما نزلت من آياته طائفة أو سورة سارع بكتابتها وتلاوتها وحفظها ، والعمل بها وتطبيق ما فيها ، فهو رجل عرف الدين وآمن به واستجاب له ، فليس أمامه حسب يقينه الا أن يتلقى الأوامر وينفذها ، ويطبقها على وعى وبصيرة ، ليحسن الجمع بين العلم والعمل .

وبرغم أن عبد الله كان ماهرا فى شئون الدنيا خبيرا بها ، أقبل على العبادة يتوسع فيها ويتوسع . فكان يقوم الليل الا أقله ، ويختم القرآن كل أسبوع ، ويصوم يوما ويفطر يوما ، ويحاول أن يفعل أكثر من ذلك ، معرضا عن كثير من ألوان التمتع المباح ، ولذلك أشفق عليه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ونصحه بالتخفيف والاعتدال ، وقال له فيما قال : « ان لبدنك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لضيفك عليك حقا » .

---

(١) العبر ج ١ ص ٧٢

(٢) يقول ابن كثير عن عبد الله : « كان من خيار الصحابة وعلمائهم وعبادهم ، وكتب عن النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا . أسلم قبل أبيه ، ولم يكن أصغر من أبيه الا باثنتى عشرة سنة ، وكان واسع العلم مجتهدا فى العبادة عاقلا » البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٦٣ .

ولقد جاء فى الطبقات لابن سعد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو : فى كم تقرأ القرآن ؟ .

قال : فى يوم وليلة .

فقال النبى له : أرقد وصل وأرقد : واقراه فى كل شهر .

فما زال عبد الله يناقض الرسول والرسول يناقضه حتى قال الرسول : اقراه فى سبع ليال .

ثم قال له النبى : كيف تصوم ؟ ..

فأجاب عبد الله : أصوم ولا أفطر .

فقال النبى : صم وأفطر ، وصم ثلاثة أيام من كل شهر .

فما زال يناقض النبى والنبى يناقضه ، حتى قال له النبى : صم أحب الصيام الى الله ، وهو صيام أخى داود : صم يوما وأفطر يوما .

قال عبد الله : فلأن أكون قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من أن يكون لى حمر النعم حسبته (١) .

***

ومع هذا التوسع فى التعبد والتهجد كان عبد الله بن عمرو حريصا على أداء واجب الجهاد فى سبيل الله ، كلما دعاه الداعى الى ذلك ، لانه يعلم ان الجهاد فريضة قائمة باقية ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما ترك قوم الجهاد الا ذلوا » . وأن هذا الجهاد عند تحتمه ووجوبه هو رأس العبادات وأساس القربات .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٧٠ القسم الثانى .

ولذلك كان عبـد الله يقضي ما يقضي من أيامه حليف تلاوته وعبادته وصلاته وقرباته ، فاذا أذن المؤذن داعيا الى صلاة الوفاء والفداء فى الميدان ، لبى عبد الله وأجاب، وبذلك شهد طائفة من الحروب والغزوات ، وكان يضرب بسيفين ، وكان يحمل راية أبيه فى معـــركة اليرموك ، متقدما الصفوف ، راغبا فى نيل الشهادة ، وأبلى بلاء حسنا فى معارك فتوح الشام .. وفى معـــركة اليرموك الكبرى بوجه خاص .

وكان مع هذا يحذر ان يشترك فى فتنة داخليـة أو حرب إهلية بين المسلمين ، فقد أوصاه الرسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم بألا يضع سيفه على عنق مسلم ابدا ، ولكنه تعرض فى هذا المجال لابتلاء عصيب ، أنقذه الله منه برحمته ، فقد حدث أن كان عبد الله وأبوه عند الرسول ، فقـــال الرسول لعبد الله : « أطع أباك » ، وحرص عبد الله على تنفيذ أمر الرسول فى أطاعة أبيه ، ثم جاءت معركة صفين التى وقعت بين على ومعاوية ؛ وكان والده عمرو بن العاص فى صف معاوية ، وطلب عمرو من ابنه عبد الله أن يخرج معهم للقتال ، فرفض ذلك .

فقال له : « أتذكر ياعبد الله آخر عهـد عهده اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أخذ بيدك فوضعها فى يدى ، وقال لك : « أطع أباك » ؟ فانى أعزم عليك الآن أن تخرج معنا للقتال » . فاضطر عبد الله أن يخرج ، وهو ينوى عدم المشاركة فى القتال ، وفى أول المعـــركة نال عمار بن ياسر الشهادة ، قتله أنصار معاوية ، فارتفع صوت عبد الله يذكر المسلمين بقول الرسول عن عمار وهم يبنون مسجد المدينة : « ويح ابن سمية ، تقتله الفئة الباغية » . وايقن عبد الله أن قتلة عمار فئة باغية ، فسارع بالعودة

الى محرابه ، محاذرا أن يناله وبال هذه الفتنة .

وصرف عبد الله جانبا كبيرا من همته فى تحصيل العلم الدينى ، فروى سبعمائة حديث عن الرســـول جاءت فى صحيح البخارى ومسلم . وقال : « حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل » . وكما اجتهد فى العبادة والتلاوة اجتهد فى العلم حتى كان أكثر الناس أخذا للحديث والعلم من الرسول (١) .

وقال عنه أبو هريرة : « ما كان أحد أكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منى ، الا عبد الله بن عمرو ، فانه كان يكتب ولا أكتب (٢) » . وكان عبد الله قد استأذن النبى فى أن يكتب ما يسمعه منه فأذن له ، فكتب ما سمع فى صحف كان يسميها « الصادقة » ، وكان يقول عنها : « هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بينى وبينه فيها أحد » (٣). ومن كلمات عبد الله البليغة قوله : « لخير أعمله اليوم أحب الى من مثليه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تهمنا الآخرة ولا تهمنا الدنيـــــا ، وانا اليوم مالت بنا الدنيا » .

هذا وقد ولاه معاوية « الكوفة » زمنا قصيرا ، ولما تولى ابنه يزيد الخلافة ، امتنع عبد الله عن بيعته ،وانزوى منقطعا للعبادة ، وكف بصره فى آخر حياته ، رضوان الله عليه .

ولقد لحق بربه تبارك وتعـــالى سنة خمس وستين

---

(١) تهذيب الاسماء للنووى ج ١ ص ٢٨٢ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الطبقات لابن سعد ج ٤ ص ٨ القسم الثانى .

للهجرة على الصحيح ، ويقول الذهبى فى كتابه « العبر » عن سنة خمس وستين : « وفيهـا مات على الصحيح عبد الله بن عمرو بن العاص السهمى » (١) . واختلفوا اختلافا واسعا فى سنة وفاته ، كما اختلفوا فى مكان وفاته ايضا .

***

يا اتباع محمد عليه الصلاة والسلام .

هكذا عاش أصحاب النبى : كانوا أهل علم وعمل ، وأصحاب عبادة وسعي ، وحلفاء قوة وايمان ، وانصـار مادة وروح ، فاقاموا مجتمعا عاقلا فاضلا ، عزت فيه كلمة الله على الدوام ، فأعزهم ربهم بين سائر الأنام ، فهل من سبيل الى عودة لما كان عليه أولئك الأعلام ؟ .

---

(١) العبر ، ج ١ ص ٧٢ .

المجاهد ذو الـــــرأى
الحباب بن المنذر الأنصارى

خلق الله تبارك وتعالى الانسان صاحب طاقة محدودة وانفاس معدودة ؛ فهو لا يستطيع ــ ولو زعم ــ ان ينهض وحيدا منفردا بكل ما يهوى أو يريد ، وهو لا يستطيع ــ وان حاول ــ أن يحيط بكل شيء علما ، أو يدعى أنه اوتى العصمة من الخطأ والزلل ، أو من السهو والنسيان، وأمور الحياة كثيرة متعددة ، وأحداثها موصولة متجددة.

والعاقل اللبيب هو من أدرك هذه الحقيقة ؛ فلم ينفرد بنفسه ، ولم يستبد برأيه ؛ بل اضاف الى عقله عقول سواه ، ووضع يده فى أيدى قومه وأهل حمـــاه ؛ معينا ومستعينا ؛ وناصحا ومنتصحا ، وهاديا ومهتديا .

والقرآنالكريم يقرروذلك المنهاج الرشيد حين يقول : « والعصر ، ان الانســـــان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » وحين يقول : « وتعاونوا على البر والتقوى » .

والأثر الاسلامى الحكيم يقول : « ما ندم من استشار، ولا خاب من استخار » .

وشوقى الحكيم يقول : « شورى ولو كانت من الحجاج خير من استبداد الفرد ولو كان عمر » .

وحافظ ابراهيم يقول :

رأى الجمـاعة لا تشقى البلاد به
رغم الخـلاف ورأى الفرد يشقيها

ولذلك جعل الحق جل جلاله مبدأ « الشورى » قاعدة من قواعد الاسلام ، وفريضة من عزائم الاحكام ، فوصف القرآن الامة المؤمنة بقوله : « وامرهم شورى بينهم » ؛ وأمر الله رسوله بالخضوع لمبدأ الشورى والاخذ به ، التزاما لأمر الله من جهة ، وتعليما للمسلمين كي يحرصوا على الشورى من جهة أخرى ، فقـال الله لرسوله : « وشاورهم في الامر » .

ولقد استجاب سيد الخلق وامام الانسانية محمد لهذا التوجيه الالهى الحـكيم ، فكان بذلك وبغيره خير من استجابت له النفوس ، والتقت على تأييده الهمم ، لانه اعطى الرجال من حوله مكانتهم ، وصـان حرمتهم ، واستوعب فكرتهم ، واستشارهم فقالوا كلمتهم ، حتى هتف أحدهم يقول له مخلصا : « يا رسول الله ، والله انا لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا ها هنـا قاعدون ، ولكنا نقول لك : اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا معكما مقاتلون » .

ولقد كان في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطـال صـدقوه الرأى والمشورة والنصيحة : « والدين النصيحة » وكانت لأفكارهم وآرائهم نتائج وآثار أثمرت اطيب الثمرات في تاريخ الاسلام والمسلمين ، ولم يكتفوا بالرأى يبدونه ، ولا بالفكرة يستنبطونها ، بل اندفعوا معه في مجالات الحق والصدق ، ينفذون ما اتجه اليه رأيهم ، واتفقت عليه كلمتهم ، ويد الله مع الجمـاعة كما قال الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه .

وهذا واحــد من أولئك الذين كانوا من أهل الوفاء والفداء ، فجمعوا بين صفاء النفوس ، ورجاحة العقول ، وروعة التطبيق والالتزام .

انه الصحابى الجليل ، المفكر المدبر، المستجيب المقدام، المقاتل المناضل : أبو عمرو الحباب بن المنذر بن الجموح ابن زيد الأنصــارى رضى الله عنه (١) وكان بليغا ينظم الشعر ، فشغله الاسلام والقرآن والجهاد عن الهيام مع الشعراء فى أودية الخيال والأوهام ، وكان فى الجـاهلية صاحب تفكير عميق ، فلما استضاء بنور الايمان سـخر طاقة تدبيره وتفكيره لخدمة الحق وأهله ، وصار يقـال له « ذو الراى » لكثرة ما يبدى من توجيه حميد ، وتفكير سديد .

وتروى السيرة انه حينما نزل الرسول فى غزوة بدر على أقرب ماء من مياه بدر جهة المدينة ، جاءه الحباب ، وقال له : يا رسول الله ، ارأيت هــذا المنزل ، أمنزل أنزلكه الله ، فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه ، أم هو الراى والحرب والمكيدة ؟ .

فقال الرسول : « بل هو الراى والحرب والمكيدة» .

فقال الحباب : يا رسول الله ، ان هذا ليس بمنزل ، فانهض بنا حتى نأتى أدنى ماء من القوم (المشركين) فننزل ونعور ما وراءه من القلب (بضمتين جمع قليب وهو البئر) ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ، فنشرب ولا يشربون (٢) . وأعجب الرسول برأى الحباب وأمر بتنفيذه ، ويروى أن جبريل نزل على النبى يقول له : الراى ما اشــار به الحباب بن المنذر .

---

(١) أمه هى : الشموس بنت حق .

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٢/٤٤٠ والسيرة لابن كثير ٢/٤٠٢ .

فقال النبى : يا حباب أشرت بالرأى (١) .

وفى معـــركة بنى قريظـة والنضير استشار النبى المسلمين ، فوقف الحباب وقال : يا رسول الله ارى ان ننزل بين القصور ، فنقطع خبر هؤلاء عن هؤلاء .

فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم برأيه (٢) .

ولم يكن الحباب عقلية مفكرة مدبرة فحسب ، بل كان الى جوار ذلك مقاتلا بطلا مقداما ، وكان يقول : «نحن أهل الحرب» .

ولا عجب فهو سلالة محاربين ، وهو خال المنذر بن عمرو الساعدى أحد النقباء ، وأحد الشهداء فى بئر معونة ، الذى قال عنه الرسول ، « أعنق ليموت » أى اسرع لينال الشهادة (٣) .

ولقد كان الحباب يحمل لواء قومه الخزرج يوم غزوة بدر ، ومعنى هذا انه كان فى طليعتهم (٤) . وكان الحباب من أوائل الذين اشتركوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة السويق بعد ثلاثة أشهر من غزوة بدر ، وهى احدى غزوات المقاومة الجريئة من المسلمين .

***

وفى غزوة أحد كان الحباب أيضا يحمل لواء الخزرج ، وكان هناك ثلاثة ألوية فى الغـــزوة . وحينما تبدت شراسة المعركة ثبت الحباب الى جانب الرسول وبايعه

---

(١) الطبقات لابن سعد ٣/١٠٩ القسم الثانى .

(٢) المرجع السابق .

(٣) تحدثت عن المنذر بن عمرو حديثا مفصلا فى كتابى « فدائيون فى تاريخ الاسلام » ص ١٠٥ ـ ١١٥ .

(٤) كان عمره يوم بدر ثلاثا وثلاثين سنة (أسد الغابة ١/٤٣٢ طبعة التعاون) .

على الموت (١) ولم يقبل لنفسه أن يفر . ثم شهد معه غزوة الخندق ، وهى غزوة الأحزاب التى قال عنهـــا القرآن : « اذ جاؤكم من فوقكم ، ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الابصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا . هنا لك ابتلى المؤمنون ، وزلزلوا زلزالاشديدا» .

ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله عليه الصـــلاة والسلام (٢) .

وفوق هذا كله كان الحباب بن المنـــذر راوية للحديث النبوى ، وممن روى عنه أبو الطفيل ، وهو آخر صحابة رسول الله (٣) .

وظل الحباب يبذل جهده ، ويصون عهده ، حتى توفى فى عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليه ، ولم يترك وراءه عقبا ولا ذرية ؛ ولكن ذكراه بقيت كريمة عاطرة باهرة ، تزين صدر التاريخ ؛ رضوان الله تبارك وتعالى عليه ، وسلام عليه فى الخالدين .

***

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام .

ان انجاز الأعمال ، أوتحقيق الآمال ، يتطلب أمرين أساسيين : هما الرأى الصائب ، والعـــزيمة الماضية ، ولذلك قال الشاعر الأول :

الراى قبل شجاعة الشـــجعان
هو أول وهى المحــل الثـــانى

وقال القائل الآخر :

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/١١٠ القسم الثانى .
(٢) المرجع السابق .
(٣) التحفة اللطيفة ج ١ ص ٤٤٥ .

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمـــــة
فان فســــــاد الراى ان ترددا

فليتنا نقبل على مجتمعنا المؤمن نعمره بالآراء الناضجة، ونشد بنيانه بالشجاعة والاقدام ، ففى ذلك فلاح الدنيا وسعادة الآخرة .

والله من وراء القصد يرشد ويعين .

عابد فلسطين المجاهد
تميم بن أوس الدارى

ان اعجاب الباحث المتأمل لا ينقضى بشأن هذه الامة المحمدية المؤمنة ، التى صنعها ربها ، وأدبها كتابها ، وهذبها نبيها ، وجعلها الاسلام نبراسا للعالمين .

فلو أن فردا من أبناء هذه الامة برع فى الشئون المادية وحدها ، لقلنا منه : انه انسان دنيا أغراه حب الحياة ، فأقبل عليها يعب منها بأوسع المكاييل ، ولو أن فردا منها توسع فى العبادة والقنوت ، لقلنا : انه انسان آخرة ارتضى لنفسه أن يكون حليف مساجد ومحاريب ، ولو أن فردا منها سطع نجمه فى القتال والحرب لقلنا انه : انسان أوتى قوة وشجاعة ، فاندفع الى المعارك يرضى بها نزعته الى البطولة والفخر .

ولكن الذى يثير الاعجاب المستمر هو أن نرى أعلام هذه الأمة المحمدية المؤمنة كأن الله تعالى قد آتاهم ميزانا الهيا دقيقا ، وزنوا به مقومات شخصياتهم الاسلامية فى تعادل وتكامل ، فهم رجال الدنيا ورجال الدين ، وهم أبطال الاولى وأبطال الآخرة ، وهم رهبان الليل وفرسان النهار ، وهم أهل المادة وأهل الروح .

وكأن كلا منهم قد أحسن الاستجابة لقول الحق عز

من قائل . « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولاتبغ الفساد فى الارض ، ان الله لا يحب المفسدين » . فهم الجادون المجتهدون فى العمل والسعى والبناء والتعمير ، وهم القانتون المتهجدون فى ساحات العبادات والقربات، وعمل الصالحات وتقديم الطيبات ، وهم المعـــروفون ببطولاتهم وتضحياتهم فى ميادين القتال والنضال .

وكأنهم نذروا انفسهم لاقامة حياة عاملة عاقلة ، عادلة، فاضلة ، يتمثل فى أهلها قول الحق جل جلاله : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا ». وقوله : «كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

وهذا واحد منهم : انه الصحابى الفاضل ، والمجاهد المناضل،وعابد فلسطين المقاتل : أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة الدارى (١) الذى كان فى أول أمره نصرانيا من أتباع عيسى عليه السلام ، ثم شرح الله صدره للاسلام ، فدخل فيه سنة تسع للهجرة ، وكأنه استجاب لدعوة عيسى حين قال فيمـا قال : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .

وكان يقال له فى كنيته : « أبو رقية » لان الله تعالى رزقه بنتا ســـماها « رقية » تيمنا باسم احدى بنات الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يولد لتميم سواها ، ومع ذلك رضى بها ، وكأنه تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما بشروه باحدى بناته قال : « ريحانة أشمها ورزقها على الله » .

---

(١) نسبة الى الدار بن هانىء من لخم ، وهو أحد أجداده ، وقيل فى نسبه : الديرى ، نسبه الى دير كان يتعبد فيه قبل الاسلام ، لانه كان نصرانيا .

وكان تميم راهب عصره ، وعابد أهل فلسطين ، كما يقول رواة السيرة ؛ وكان حافظا للقرآن ، مكثرا لتلاوته والتدبر فيه ، يختمه كل سبع ليال ، وربما قام الليلة من الليالى متهجدا حتى يصبح بآية من القرآن الكريم، يرتلها ويتدبر فى معانيها ومغازيها .

فقد روى أنه قام ذات ليلة حتى أصبح بقول الله تعالى فى سورة الجاثية : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون » .

وقام ليلة أخرى ، ردد فيها آية حتى أصبح ؛ وهى قوله تعالى : « ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم » .

ومع هذا كان رجل دنيا ، يجيد السعى والعمل والكسب ، وجمع من وراء ذلك مالا طيبا أسهم به فى وجوه كثيرة من الخيرات ؛ وأظهر فى نفسه نعمة الله عليه ، فكانت له كما يقول التاريخ هيأة ولباس ، ولقد اشترى بعض الثياب بألف درهم ليصلى فيها ، مهتديا بقول الحق جل جلاله : « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » .

ولأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « ان الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » ؛ وهذا بعض ما نفهمه من قول القرآن المجيد : « وأما بنعمة ربك فحدث » .

***

وكان تميم الدارى مع هذا رجلا مجاهدا مناضلا ؛ شارك فى غزوات للحق ضد الباطل ومعارك للايمان ضد الكفران ، واشترك معه فى بعض هذه الغزوات أخوه

« نعيم » الذى أسلم معه ، وكان تميم الدارى يعنى باعداد سلاحه وأدوات قتاله ، حتى يكون على استعداد دائم للنفير الى الجهاد ، وكان يقوم بهذا الاعداد بنفسه .

ولقد زار روح بن زنباع تميما الدارى فى بيته ، فوجده ينقى شعيرا لفرسه الذى يركبه فى الجهاد ، وحوله أفراد من أهله ، فقال له روح : أما كان فى هؤلاء من يكفيك هذا ؟ .

قال تميم : بلى ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من امرىء مسلم ينقى لفرسه شعيرا ، ثم يعلفه عليه الا كتب الله له بكل حبة حسنة » (١) .

واذا كان تميم قد قال هذا بالنسبة الى فرسه ، فمن الممكن أن يقال مثل ذلك عن آلات الجهاد المعاصرة ، كالطيارة والدبابة والمدرعة، فليس هناك ما يمنعنا أن نفهم أن من صان دبابته مثلا ، وأشرف على تنظيفها واعدادها وامدادها بالنفط (البنزين) . كان له بكل قطرة من النفط حسنة ، وانما يتقبل الله جل جلاله من المتقين المخلصين الصادقين .

وقد زار تميم « مصر » كنانة الله فى أرضه ، وشهد فتحها ، وتلقى عنه الحديث كثير من أهل مصر ، منهم على بن رباح ، وموسى بن نصير فاتح الأندلس وأكثر بلاد المغرب .

ولم يكتف تميم الدارى بالجهاد على سطح الارض اليابسة ، بل جاهد فى وسط المياه والامواج ، فركب البحر مناضلا مع البحرية الاسلامية الاولى ، فى عهد كانت فيه وسائل التنقل فى البحر قليلة ضئيلة غير مأمونة ، وقد روى تميم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبارا عن بعض

---

(١) أخرجه الثلاثة .

رحلاته فى البحر وروى الرسول هذه الأخبار عن تميم رضوان الله عليه .

ومنها قصة «الجساسة » :

فى احدى رحلات تميم فى البحر ، راى فى جزيرة البحر « الجساسة » وهى دابة تتجسس الأخبار ، وقد جاء خبر « الجساسة » فى حديث صحيح رواه الامام مسلم ، وقدروى تميم هذا الخبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورواه عنه الرسول. وعدالعلماءذلكمنقبةعظيمة لتميم ، فهو الشخص الوحيد الذى روى عنه النبى صلوات الله وسلامه عليه . وفى صحيح مسلم : « ان رسول‌الله روى عن تميم قصة الجساسة ، وهذه منقبة شريفة له لا يشاركه فيها غيره » .

وفى صحيح مسلم عن عامر بن شراحيل انه سأل فاطمة بنت قيس ـ وكانت من المهاجرات الأول ـ فقال :

حدثينى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تسنديه الى أحد غيره .

فقالت : لئن شئت لأفعلن .

فقال لها : أجل حدثينى .

فقالت : نكحت ابن المغيرة،وهو من خيار شباب قريش يومئذ ، فأصيب (بجراح) فى أول الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما تأيمت (لان ابن المغيرة طلقها) خطبنى عبد الرحمن بن عوف ، فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه أسامة بن زيد ، وكنت قد حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أحبنى فليحب أسامة .

فلما كلمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت :

امرى بيدك، فانكحنى من شئت. وأمرها الرسول بالانتقال الى الاقامة عند عبد الله بن أم مكتوم .

فلما انتهت عدتها سمعت نداء منـــادى النبى : « الصلاة جامعة » .

تقول : « فخرجت الى المسجد ، فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنت فى صف النساء الذى يلى ظهر القوم » .

ولما انتهى الرسول من الصلاة جلس على المنبر وقال : ليلزم كل انسان مصلاه .

ثم قال : أتدرون لم جمعتكم ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : انى والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبـة . ولكن جمعتكم لان تميما الدارى كان رجلا نصرانيا ، فجاء وبايع وأسلم ، وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن المسيح الدجال .

ثم قص النبى ما رآه تميم الدارى مع رفاقه فى جزيرة بالبحر ، وهو دابة غليظـــة الشعر غريبة الشكل تتكلم كأنها من جنس البشر ، فسألوها عن شأنها ، فدلتهم على رجل فى دير ، عظيم الخلقة ، يداه موثقتـــان فى عنقه بالاغلال .

قالوا له : ويلك ما أنت ؟

فقال : أخبرونى من أنتم ؟

فقصوا خبرهم ، فقـال : أخبرونى عن نخل بيسان (مدينة بالاردن) .

قالوا : عن أى شأنها تستخبرنا ؟

قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟

قالوا : نعم .

قال : أماانه يوشك أن لا يثمر ، اخبروني عن بحيرة طبرية ، هل فيها ماء ؟

قالوا : هى كثيرة الماء .

قال : اما ان ماءها يوشك أن يذهب . . .

ثم قال : أخبروني عن نبى الأميين ما فعل .

قالوا : قد خرج من مكة ،ونزل يثرب .

قال : أقاتله العرب ؟

قالوا : نعم .

قال : كيف صنع بهم ؟

قالوا : قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه .

قال : أما ان ذلك خير أن يطيعوه . . .

ومضى الرسول يقص بقية الخبر ، ويذكر المسيح الدجال ، ثم قال : « انه أعجبنى حديث تميم ، انه وافق الذى كنت أحدثكم » . . .

وهكذا فاز تميم بمفخرة لم ينلها سواه ، وهى أن يروى عنه رسول الله ، وذلك تكريم أى تكريم . ولا عجب فى ذلك ، فتميم قد أسلم قياده لرسول الله ، منذ أقبل على نور الاسلام . ولقد روى التاريخ أن تميما قدم على الرسول لأول مرة فحياه بتحية الجاهلية ، فقال له النبى عليه الصلاة والسلام : « ان تحيتنا السلام » فاستمع تميم واستجاب ، واعتدل واستقام .

وأحب تميم رسول الله ، وكان يهدى اليه لطائف الثمار ، وأهدى الى النبى ذات مرة زبيبا ، فوضعه الرسول بين يديه ، ودعا اليه أصحابه ، وقال : « كلوا ، فنعم الطعام الزبيب » .

ونال تميم تقدير الرسول وتكريمه فأقطعه بلدة « حبرون » التى يقول عنها ياقوت : ان حبرون اسم القرية التى فيها قبر ابراهيم عليه السلام بالبيت المقدس،

ثم غلب عليها اسم « الخليل » ويقال لها : « حبرى » .

ومن مآثر تميم أنه كان عميق الايمان ناصع العقيدة ، جاء فى مسند الامام احمد :

عن تميم الدارى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ليبلغن هذا الامر مابلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا أدخله هذا الدين بعز عزيز ، أو بذل ذليل ، عزا يعز به الاسلام ، وذلا يذل به الكفر » .

فكان يقول : قد عرفت ذلك فى أهل بيتى ، لقد اصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ، ولقد أصاب منهم من كان كافرا الذل والصغار والجزية » .

***

وفوق هذه المآثر كلها كان تميم الدارى رجلا فقيها راويا للحديث النبوى الشريف ، وقد أورد له الامامان البخارى ومسلم ثمانية عشر حديثا ، وتلقى الحديث عن تميم جماعة من أجلاء الصحابة حسبنا أن نتذكر منهم : عبد الله بن عباس وأنس بن مالك ، رضوان الله على الجميع . ومن الأحاديث التى رواها تميم عن فم النبوة الطاهرة الحديث القائل : « الدين النصيحة » . ولذلك عاش تميم ناصحا لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ... وفى آخر عهد الرسول طلب تميم من النبى أن يعهد اليه بقرية « عينون » القريبة من القدس فى فلسطين ، وهى ـ كما فى معجم البلدان ـ من قرى بيت المقدس (وقيل أقطعه النبى قرية حبرون) ليستخصبها مع أهله وأقاربه المقيمين فيها ، فكتب النبى له كتابا بذلك ، وبذل تميم مع قومه جهودا كبيرة كريمة فى تعمير القربة واستخصاب أرضها ، فكفى نفسه

وأهله ، وزكى ثروته وماله ، وتصدق بالكثير لوجه الله تعالى ، وقد روى أنه أول من أشعل السراج فى مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام (١) ومع ذلك لم ينقطع تميم عن الدعوة والارشاد الى سبيل الله ، فقد استأذن تميم الخليفة عمر فى أن يعقد مجلسا يعظ فيه ، ويقص على الناس ما يذكرهم ويرشدهم ، وظل تميم على عمله للدنيا والدين ، وعلى رباطه استعدادا للجهاد فى كل أوان ، حتى لحق بربه سنة أربعين للهجرة فى فلسطين ، ودفن فى قرية « بيت جبرين » من أرض فلسطين ردها الله على العرب والمسلمين .

***

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام : هكذا عاش أحد المجاهدين من تلاميذ رسول الله الذى قال فيما يرويه الامام أحمد : « من مات مرابطا مات شهيدا » . وقد عاش تميم مجاهدا ومات مرابطا ، فليس بكثير على فضل الله الواسع أن يثيبه ثواب الشهداء ، وليس بكثير على فضل الله الواسع أن يأخذ بتواصينا جميعا الى طريق الهدى والرشاد .

---

(١) قيل انه أول من أسرج المسجد النبوى فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، وقيل ان أول من أسرجه هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

المجاهد الشيخ
عمر المختار

ان حديث الفداء فى الاسلام قد صار لحنا محببا ، فقد دبت فينا الحياة الكريمة من جديد ، فأصبحنا نقارع أعداءنا يوما بعد يوم ، ونقض عليهم مضاجعهم ، وننال منهم، والاحرار يقاتلون بلا يأس : « انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون » .

وتاريخنا القديم والحديث يعلمنا ذلك ، فهذه مثلا هى ايطاليا الاستعمارية تقـدم منذ نصف قرن على احتلال دولة عربية اسلامية شقيقة هى ليبيا ، فقام شعبها العربى المسلم يقاوم هذا الطغيان بكل ما اسـتطاع ، مستمدا حوافز جهاده وكفاحه من تعاليم دينه ومبادىء شريعته ، محتملا فى سبيل ذلك كل أنواع البلاء والعناء ، واذا كنا رأينا فى فلسطين المحتلة مجرما شرسا عضوضا يسمى « موسى ديان » فقد كان له أخ ايطالى من قبل ظهر فى ليبيا المحتلة حينئذ يسمى « الجنرال جرازيانى » فملأ السجون بالليبيين ، وأنزل بهم صنوف العذاب ، وأنشأ محكمة سميت « بالمحكمة الطائرة » ، وهى من أقذر الوسائل الانتقامية التى لجأ اليها الاستعمار الغربى الدنىء ، فهى محكمة عرفية سيارة كانت تتنقل بين البلاد بوساطة الطائرات ، وتعقد جلساتها فى الميادين العامة ،

وتتم محاكماتها بسرعة . ثم تصدر أحكامها بالاعدام . ومصادرة الاموال لاقل شبهة .

ولقد بلغ من فجر ايطاليا المحتلة حينئذ لليبيا أن اخذ مجرموها الشهيد الليبى الشيخ سيد الشرقاوى ومعه خمسة عشر شيخا ، وقتلوهم افظع قتلة ، بأن اركبوهم الطائرات ، والقوهم منها على ارتفاع أربعمائة متر على مشهد من أهليهم المستضعفين .

وكذلك جمعت ايطاليا على يد جرازيانى كل مشايخ السنوسية وأئمة المساجد والفقهاء فى سنة ١٩٣٠ وسجنتهم جميعا فى مركز « بنينه » ، وهو بناء قديم لا سقف له ؛ وأذاقتهم فيه الجوع والعطش والعذاب ، ثم نقلوهم الى سجون ايطاليا ، وبعد أن مكثوا هناك مدة أعادوهم الى بنينة ، حتى عملوا على افنائهم بالجوع والعطش وغيرهما .

***

ثم جاء شهيد الاسلام والعروبة؛ وبطل طرابلس الخالد السيد عمر المختار ، ليضرب مثلا من أمثلة الفداء فى الاسلام ، فقد ولد سنة ١٢٧٧ هـ ـ ١٨٦٠ م فى « البطنان » ببرقة ، وتلقى علومه الدينية فى جغبوب فى زاوية السنوسية التي كانت مركز الدعوة الاسلامية ، التى قامت بها الحركة السنوسية فى ليبيا .

وكان أساس تعليمه هو حفظ (القرآن الكريم) ، كما كانت العادة جارية بين المسلمين الى عهد قريب ـ هل يعرف أحدنا لماذا انقطعت هذه العادة المباركة ؟ .

واشتغل عمر المختار بنشر الاسلام فى ربوع ليبيا والسودان ، ثم دعته ظروف النضال الليبى الى أن يتزعم كتائب المجاهدين ضد الغزو الايطالى ، وظل يخرج من

معركة الى معركة . حتى روى التاريخ انه اشترك فى ٢٦٣ معركة ضد ايطاليا فى مدة عشرين شهرا ، اى فى اقل من عامين .

وكان المجاهد البطل الشهيد حريصا على تنفيذ تعاليم الاسلام نصا وروحا فى جهاده ، ومن بينها اقامة صـــلاة الحرب أو صلاة القتال فى الميدان ، وكان شعاره هـــو التكبير والتهليل ، وكم من شـــدائد تعرض لها عمر المختار ورفاقه ، وكم بذل هؤلاء الأشقاء وتعرضوا لألوان من التضحية والفداء ، وكم جاء أناس الى عمر المختار ينصحونه بالتسليم ، لان القوتين غير متكافئتين ، والعدو متمكن متسلط قاهر ، فيرفض المختار ذلك ، ويصر على أن يقاوم حتى آخر رمق ، موقنا ان النصر اذا لم يتحقق على يديه ، فسيأتى من بعده من يحققه ، ولولا ضحايا فى أول الكفاح ووسطه ، لما تمهد الطريق أمام النصر المبين والفتح الكبير .

***

وجاءت الساعة المشهودة التى ضرب فيها عمر المختار مثلا فى الثبات والبطولة ، حيث واجه أعداءه الغزاة ، فى معركة غير متكافئة فهو يحارب بسلاح يده وحصانه ، وهم يحاربون بالطائرات والسيارات والمدافع والقنابل ، وتكبكب الزبانية على المجاهد البطل ، وصرعوا جواده ، ووقع البطل على الأرض ، ثم نهض ليواصل المقـاومة ، فتكاثروا عليه وأسروه ، وهو فى نحو الثمانين من عمره .

وحينما سألوه لم ينكر أنه حارب وجاهد ، وقاوم الغزو الايطالى بكل ما استطاع .

قال له القاضى : هل أنت رئيس الثوار ضد ايطاليا ؟

قال عمر المختار : نعم ؟

قال القاضي : هل حاربت الدولة ؟
أجاب : نعم .
قال القاضي : هل شهرت السلاح فى وجه قوات الدولة ؟
أجاب : نعم .
قال القاضي : هل اشتركت فى القتال اشتراكا فعليا ؟
أجاب : نعم .
قال القاضي : هل أمرت بقتل الجنود الذين كانوا يحرسون العمل فى أثناء انشاء الطرق ؟
أجاب : نعم .
قال القاضي : هل أمرت بالغزو واشتركت فيه ؟
أجاب : نعم .
قال القاضي : هل أمرت بتحصيل العشور من الناس ؟
أجاب : نعم .
وقال : ان وقوعى فى الاسر لا يضعف مقاومة ليبيا للاستعمار ، ولتفعلوا بى ما تشاءون ، ولكن ما كنت فى يوم من الايام لأسلم لكم طوعا ، اننى قاتلت ايطاليا من أجل دينى ووطنى ، وكنت أعلم أننى لن أستطيع طرد الاعداء من بلادنا ، ولكنى كنت أقاتل ، لأن واجبى هو أن أجاهد ، وتركت النتيجة فى يد القدر ، وكأنه كان يستحضر فى ذهنه قول سلفه الكريم :

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على اى جنب كان فى الله مصرعى

وجاء الطاغية « الجنرال جرازيانى » ليلقى عمر المختار متشفيا شامتا ، ودارت بين الاثنين المحاورة التالية :

قال جرازيانى : لماذا قاتلت الحكومة الايطالية بهذه الشدة ؟ .

اجاب البطل الاسير : قاتلتها من أجل دينى ووطنى .

قال جرازيانى : هل كنت تظن أن فى امكانك طردنا من برقة ؟ .

اجاب البطل الاسير : لا ، فقد كان ذلك مستحيلا .

قال جرازيانى : ماذا كنت تقصد اذن ؟ .

اجاب البطل الأسير : كنت أقاتل وكفى ، تاركا النتيجة فى يد القدر ... الخ .

وسيق البطل الأسير الى المحاكمة الصورية الهزيلة التى بدأوها فى جوف الليل ، وكأنهم أرادوا أن يتخذوا من ظلامه وسواده قناعا يحاولون به ستر فضائحهم ومخازيهم ، وسرعان ما بلغوا الهدف الذى يريدونه ، وهو الحكم على عمر المختار بالاعدام شنقا ، وحينما سمع البطل الحكم لم يزد على قوله : « ان لله وانا اليه راجعون » . واقبل يوم التنفيذ وهو السادس عشر من سبتمبر ١٩٣١ م وتقدم عمر المختار الى حبل المشنقة شجاعا مطمئنا ، غير هياب ولا وجل ، وهو يردد الشهادتين : أشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وحركوا حبل المشنقة ليجهز على الشيخ الكبير المجاهد ، ولكن الحبل لم يحدث أثره المطلوب ، فأعادوا عملية الشنق مرة أخرى ، وكأنهم كانوا يؤكدون جريمتهم النكراء مرتين ، ليلعنهم القدر بها لعنتين :

قال شوقى :

دفعوا الى الجلاد اغلب ماجدا
يأسو الجراح ويطلق الاسراء
ويشاطر الاقران ذخر سلاحه
ويصف حول خوانه الاعداء

وتخيروا الحبـــل المهين منيــــة
لليث يلفظ حـــوله الحـــوباء (١)
حرموا الممات على الصـــوارم والقنا
من كان يعطى الطعنـــة النجـــلاء

ولحق عمر المختار بربه ، فهل امتلأت ليبيا هما وغما: أو حزنا ويأسا ؟ . معاذ خـــلال الأحرار ، بل استمر المجاهدون فى ليبيا على طريق النضال ، ومن وراء عمر المختار تسلم قيادة المجاهدين البطل الشهيد « يوسف بو رحيل » ، وتوالى الشهداء شهيداً وراء شهيد ، بلا يأس ولا قنوط .

فماذا كانت النتيجة ؟ . تحقق النصر لهؤلاء الأوفياء ، ورحلت ايطاليا ، وانطوى علمها الاسود عن ليبيا ، وارتفع علم الاستقلال على ربوع البلد المناضل الذى دفع شعبه الثمن كريما وغاليـــا ، ومن طلب الحسناء لم يغلهـــا المهر كما قال الأجداد ، ولم تصبح ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة فقط ، بل صارت دولة تؤيد العمل البطولى العربى ، وتسند باقتدارها المادى دعائم الجهاد الموصول.

***

يا أبناء محمد عليه الصلاة والسلام .

ان كتائب الفداء التى تقض مضاجع الصهيونيين الآن هنا وهناك وهنالك من واجبها أن تستضىء على الدوام بأمثال عمر المختار ، ذلك الشهيد الذى آمن بأن شجرة الحرية لا تنبت ولا تنمو الا بالدماء ، وبأن طريق الفـداء مفروش بالعرق والدم وثقيل الابتلاء ، ولذلك كان شوقى صادقا حين قال يخاطب روح عمر المختار :

---

(١) الحوباء : الروح .

خيرت فأخترت المبيت على الطــــوى
لم تبن جاهـــــا ، أو تلم ثـــــراء
ان البطولة أن تموت من الظمـــــــأ
ليس البطـــولة أن تعب المـــــاء
فى ذمة الله الـــكريم ، وحفظـــــه
جسد ببرقة وســــــد الصحراء

ومن رثاء خليل مطران لعمر المختار هذه الأبيات :

أبيت والسيف يعـــلو الرأس تسليما
وجدت بالروح جـود الحر ان ضـيما
تذكر العـــرب ، والاحداث منسية
ما كان ــ اذ ملكوا الدنيا ــ لهم خيما
ما الموت ان تك منجـــاة البـــلاد به
من غاصب وانتصاب الشعب مظلوما ؟
هذا هـــو العيش والقسط العظيم به
من خالد الفخر فوق العمر تقويمـــا
ان الفداء لأعلى ما حمــــــدت له
اخرى ، وان كان فى أولاه مذمـــوما
وما اعتـدال زمان لا يقـــــــومه
بنــوه بالصبر والاقــدام تقويمـــا

***

سلاما سلاما على البطل المسلم المناضل عمر المختار ؛ الذى يجب ان يكون قدوة للأخيار الأحرار فى هــذه الديار ...

الشهيد المبادر
ثابت بن الدحداح الأنصاري

ان اكرم ما فى المؤمن امران : أولهمـا المعدن النقى الصافى ، القائم على الفطرة الطاهرة ، والاستعداد الطيب، ولذلك يقول الحق جل جلاله : « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

ويقول سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم : « الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام ، اذا فقهوا » .

وثانى الأمرين هو المبادرة الى الخير ، والمسارعة بالاستجابة لصوت البر ، ولذلك يقول القرآن المجيد : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه اليه تحشرون » .

ولقد كان من حول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه رجال استعدت نفوسهم للحق ، فلما جاءهم فرحوا به ، وحرصوا عليه ، واستجابوا له ، حتى تحدث عنهم القرآن المجيد بمثل قوله : « الذين استجابوا لله وللرسول ، من بعد ما أصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس ، ان الناس

قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .

ولقد كانت استجابتهم تظهر فى مجالين أكثر من ظهورهما فى غيرهما : المجال الاول هو مجال البذل لما فى أيديهم ، تقربا الى الله ، وايثارا لما عنده ، والمجال الثانى هو مجال التضحية بأرواحهم ، جهادا فى سبيل الله ، وطمعا فى نعمة الشهادة لوجه الله : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » .

***

وهذا واحد منهم : انه الصحابى الوفى ، الباذل التقى، المجاهد الزكى ، أبو الدحداح ثابت بن الدحداح بن نعيم الانصارى (١) الذى كان جنديا مجهولا ، ولذلك اختلفوا فى اسمه ونسبه اختلافا كثيرا ، حتى قال عنه الامام ابن عبد البر : « لا أقف على اسمه . ولا على نسبه ، غير انه من الأنصار حليف لهم » .

وقد أسلم أبو الدحداح وحسن اسلامه ، وتجلت فيه الاستجابة المخلصة لما يأمر به ربه ، أو يدعو اليه رسوله ، ومن شواهد ذلك أن الله تبارك وتعالى أراد أن يعد أمته المؤمنة لحياة العزة والكرامة والحرية ، فدعاهم الى الجهاد ، وطالبهم من أجل ذلك بحسن الاعداد والاستعداد ، فقال لهم عز من قائل : « وقاتلوا فى سبيل الله ، واعلموا أن الله سميع عليم ، من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ، فيضاعفه له أضعافا كثيرة ، والله يقبض ويبسط ، واليه ترجعون » .

---

(١) قيل أن اسمه : أبو الدحداح عمرو بن الدحداح . وقيل : ابن الدحداحة . وكلمة الدحداح معناها : القصير السمين .

وسمع أبو الدحداح لأول مرة هـذا التوجيه الربانى الكريم ، فسارع الى رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يقول له : يا رسول الله ؛ أيريد الله تعالى منـــــا القرض ؟ .

قال : نعم يا أبا الدحداح .

فقال : فداك أبى وأمى يا رســـــول الله ، أن الله يستقرضنا وهو غنى عن القرض ؟

فقال النبى : نعم ، يريد أن يدخلكم الجنة به .

قال أبو الدحداح : فانى أريد أن أقرض ربى قرضا يضمن لى به ولزوجتى ولصبيتى الجنة ؟

قال : نعم .

قال : فناولنى يدك يا رسول الله .

فناوله يده ، فقال : أن لى حديقتين ، احداهمـــا بالسافلة ، والاخرى بالعالية ، والله لا أملك غيرهما ، قد جعلتهما قرضا لله تعالى .

فقال له الرسول : أجعل احداهما لله ، والاخرى دعها معيشة لك ولعيالك .

قال أبو الدحداح : فأشهدك يا رسول الله ، أنى قد جعلت خيرهما لله تعالى ، وهو حائط فيه ستمائة نخلة .

فقال النبى : اذن يجزيك الله به الجنة .

وانطلق ابو الدحداح الى زوجته وهى مع صبيانها فى الحديقة ، تدور حول النخل ، فبشرها وأنشد يقول :

هـــداك ربى واهب الرشـــــاد
الى سبيل الخـــير والسداد
بينى من الحـــــــائط بالوداد
فقد مضى قرضـــا الى التنـاد

أقرضته الله على اعتمـــادى
بالطوع لا من ولا ارتـــداد
والبر لا شـــك فخير زاد
فارتحـــلى بالنفس وبالأولاد

ففرحت أم الدحداح ،وقالت : ربح بيعك ، بارك الله لك فيما اشتريت ، ثم أنشأت تجاوبه بقولها :

بشرك الله بخـير وفـرح
مثلك أدى ما عليـه ونصـح
قد متع الله عيـــالى ومنح
بالعجوة السوداء ، والزهو البلح
والعبـــد يسعى ، وله ما قــد كدح
طول الليـــالى ، وعليـــه ما اجترح

واقبلت أم الدحداح على صبيانها تخـــــرج ما فى افواههم ، وتنفض ما فى أكمامهم حتى أفضت الى الحائط الآخر ، فقد أصبح ذلك ملكا لله ، لا حق لهم فى شيء منه ..

***

ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عند ذلك : « كم من عذق رداح ، ودار فياح ، لأبى الدحداح » (١) والعذق النخلة ، ورداح : ثقيلة . والفيـــاح : الواســـعة كما روى أنه قال : « كم من عذق معلق ــ أى مدلى أو مذلل ــ فى الجنة لأبى الدحداح .

ويروى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « من تصـدق بصدقة ، فله مثلاها فى الجنة » .

فقال أبو الدحداح : يا رسول الله ، ان لى حديقتين ، ان تصدقت باحداهما فان لى مثليها فى الجنة ؟ .

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ، للقرطبى ج ٣ ص ٢٣٨ .

قال : نعم .
قال : وأم الدحداح معى ؟
قال : نعم .
قال : والصبية معى ؟
قال : نعم .

فتصدق باحدى حديقتيه ، ورجع فنادى على زوجته قائلا : يا أم الدحداح .

قالت : لبيك يا أبا الدحداح .

قال : انى جعلت حديقتى هذه صدقة ، واشتريت مثليها فى الجنة ، وانت معى ، والصبية معى .

قالت : بارك الله لك فيما شريت وفيما اشتريت .

ومضى أبو الدحداح فى طريق الاسلام ، يستجيب له ويعتز به ، ويقدم من أجله كل مايستطيع ، واختار الله له أرفع الدرجات وأصدق القربات ، وهو بذل النفس فى سبيل بارئها وخالقها ، فقد خرج أبو الدحداح مجاهدا يوم أحد ، ثم رأى الناس حينئذ وقد انتشروا وتبعثروا بسبب اشتداد الهول وشراسة القتال وهول المفاجأة ، وأشيع بينهم ان الرسول قد قتل . فلم يفقده كل ذلك صوابه أو ثباته ، بل أقبل نحو الأعداء ، وهو يهتف بين اخوته فى الله وزملائه فى الجهـــاد ، ويقول : يا معشر الأنصار ، الى الى ، أنا ثابت بن الدحداح ، أن كان محمد قد قتل فان الله حى لا يموت ، فقاتلوا عن دينكم ، فان الله مظهركم وناصركم .

وكأن أبا الدحداح بهذه الكلمات قد جعله القدر صدى لهدى الرحمن وصوت القرآن الذى أقبل بعد ذلك يقول: « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه

فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين ، وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منهـــا ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منهـا وسنجزى الشاكرين » .

وتجمع حول أبى الدحداح عدد من الأنصار ، فجعل يهجم ويحمل معهم على الكافرين ، ثم حملت عليهم كتيبة خشناء (أى كثيرة السلاح) فيها عمالقة المشركين يومئذ، وأصابت أبا الدحداح طعنة قاتلة ، سقط بسببها صريعا شهيدا ، وقتل معه عدد من المهاجرين ، وكانوا آخر من استشهد فى ذلك اليوم العصيب . وأقبل رســول الله عليه الصلاة والسلام فصلى على أبى الدحداح ودعا له ، ثم قال : «كم من عذق (نخلة) معلق ـ أو مدلى ـ فى الجنة لأبى الدحداح» (١) .

واذا كان هناك من أهل الجهل أو الغفلة من ظن أن أبا الدحداح قد فقد الحياة ، فان ذلك باطل من القول وزور، والله أصدق القائلين هو الذى يقرر الحق حين يقول : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات ، بل أحياء ، ولكن لا تشعرون » .

ولقد تصور أحد شعراء الاسلام (٢) ان شهيدا أطل من عالم الخلد على قوم يؤبنونه ويبكون عليه فقال لهم :

فيم احتشـــادكم هـــذا ؟ لتأبينى
أنتم أحق بتـــأبين الورى دونى
فما الشـــهادة الا ميتـــة كرمت
عن ميتة الداء ، أو عن ميتة الهـــون

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ٦٦٤ ، وفى بعض الروايات أن أبا الدحداح شفى من جراحته ثم مات بسبب جرح عند رجوع النبى من غزوة الحديبية.
(٢) الشاعر على أحمد باكثير .

اني نزلت بدار الخلد فى رغـــــــد
بين الخمـــــائل فيهـــا والرياحين
فى جنـــــة ما بهـا خوف ولا حزن
لولا رثاء لحـــــال العرب يشجينى
قامت عليهم ذئاب البغى قاطبـــــة
من ثعلبــــان ومن دب وتنين
فما انتظـــــاركم والحق حقـــكم
يعدى عليـــه ليعطى للملاعين ؟
لا تطلبوه احتكاما فى مجـــــامعهم
بل استردوه قسرا فى الميـادين
والمســلمون جميعـا من ورائـكم
بأندونيسيا وباكســـــتان والصين
لا تنـــدبونى فانى لم أمت ضرعا
فــان علمتم على الذل فابــــكونى
وان تريدوا لوجـــه الحـق تـكرمتى
فابغوا الشـــهادة للدنيــــا وللدين
فابن الوليد على اليرموك يرقبـــــكم
وليث أيوب يرعـــاكم بحـطين

***

سلاما سلاما على روح الشهيد المبادر ، المنفق فى سبيل الله ، الباذل حياته لوجه الله ، الذى صدق مع الله عهده ، وانجز فى مرضاته وعده ، فاستحق أن يضـاعف الله له الأجر والثواب مصداقا لقوله عز من قائل :

« مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع ســنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .

المجاهد ضجيع الرملة

عبادة بن الصامت الخزرجى

تعود كثير من الناس التفاخر والمباهاة بقليل أو كثير من متاع الحياة ، فمنهم من يفخر بقوة جسمه ، وصلابة عضلاته ، وطول قامته ، ووسامة شكله .

ومنهم من يفخر بكثرة ماله ، وضخامة ثروته .

ومنهم من يفخر بانه سليل الحسب والنسب .

ومنهم من يفخر بعظمة المنصب وعلو الرتبة ...

الى آخر ما هناك من مظاهر مادية تواضع الناس على احترامها وتبجيلها ...

وقلّ بين هؤلاء الناس أن يجعلوا فخرهم معقودا بالنواحى العلمية أو الروحية أو الأخلاقية .

وليس كذلك هدى الاسلام ، فانه قد علم اتباعه أن المظاهر المادية والدنيوية عرض زائل ، وظل حائل ؛ وما أروع القرآن الكريم حين يقول : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » . وما أروع الرسول المصلح ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين يقول : « ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى والعمل الصالح » .

والعجيب ان الاسلام قد بدأ ظهوره فى جزيرة العرب حينما كان التفاخر بالحسب والنسب ، والجاه والنشب

ظاهرة شائعة ذائعة مستحكمة ، فما زال هذا الدين العظيم بهؤلاء المتفاخرين المتناحرين ، حتى جعلهم اخوة بعد التصدع والتمزق ، وأمة واحدة بعد طول الخلاف والتفرق : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

واصبح المسلمون يفخرون — ان فخروا — بسبقهم الى عمل الخير والبر ، وضرب الأمثال فى تقوى الله تبارك وتعالى ، والاعتزاز بحماه ، وتقديم الاعمال الصالحة : « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » .

وصار شعارهم قول قائلهم :

ابى الاسلام لا اب لى سواه
اذا افتخروا بقيس أو تميم

***

وهذا واحد من هؤلاء :

انه الصحابى البدرى الجليل ، الموصوف بالعلم والورع ، وحفظ القرآن والجهاد فىسبيل الله : أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر الخزرجى المدنى الانصارى ، ولد سنة ثمان وثلاثين قبل الهجرة ، وأدرك الاسلام ، ودخل فيه ، وصار من سادات الصحابة، وكان رجلا جليلا ، طويلا ، جسيما ، كما جاء فى « تهذيب الاسماء » و « الاصابة » ، ولكن عبادة لم يفخر بأمثال هذه الأشياء .

بل حق له ان يفخر بأنه حضر بيعات العقبات الثلاث : الأولى والثانية والثالثة ، فكان أحد الستة الذين بايعوا بيعة العقبة الاولى ، وأحد الاثنى عشر الذين بايعوا بيعة العقبة الثانية ، وأحد السبعين الذين بايعوا بيعة العقبة

الثالثة (١) ، وكان أحد النقباء فى ليلة العقبة على جماعة «القواقل» ، وهم بنوسالم، وكان يقال لجدهم : «قوقل» ، لأنه كان اذا أتاه انسان يستجير به قال له : قوقل فى هذا الجبل ، فقد أمنت ، أى أصـــعد فيه وارتق دون أن تخاف شيئا ، فأنت فى جوارى ، فسر حيث شئت ! .

وشهد عبادة غزوات : بدر وأحد والخندق وبيعـــة الرضوان ، وسائر المشاهد مع رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ويا لها من أوسمة رفيعة ، توضع على صدره فتزينه وتشرفه .

ولعل عبادة يحق له أن يفخر فيطيل الفخر بأنه كان احد الانصار الأوفيـــاء الذين آووا ونصروا ، وأثروا وضحوا ، ولعل أفضل وسام لعبادة هو أن نجد السيرة العطرة تقول عنه :

« وكان عبادة عقبيا نقيبا ، بدريا انصاريا » (٢) .

وكان عبادة نفسه يصرح ببعض ذلك فيقول : « أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة » !! .. يقول ذلك كما روى فى « الاصابة » متحدثا بفضل الله عليه ، ونعمته اليه .

***

ولقد آخى سيدنا ورائدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، بين عبادة بن الصامت وأبى مرثد الغنـوى ــ واسمه كناز بن الحصين بن يربوع ــ وكان أبو مرثد تربا للبطل الشهيد حمزة بن عبد المطلب وحليفا له ،

(١) كتاب الدرر لابن عبد البر ، ص ٧١ و٧٢ و٧٥ . والاستيعاب ، ج ، ص ٤٤٢ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج ٣ ص ٩٤ القسم الثانى .

وهاجر أبو مرثد مع ابنه مرثد الى المدينة ، وشهد ـ كما شهد عباده ـ غزوات : بدر ، واحد ، والخندق ، وسائر المشاهد مع رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وهكذا كانت هـذه المؤاخاة النبوية باسم الاسـلام جمعا بين الاشباه والنظائر .

واختار النبي عبادة ليكون عاملا على الصدقات ، فقد كان يلمح فيه الثقة والأمانة .

كما كان يقوم بتعليم القرآن الكريم لاهل « الصفة » المنقطعين للعبادة فى المسجد النبوى بالمدينة .

وكان عبادة بن الصامت يجمع القرآن حفظا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومضى الرسول الأكرم الى ربه بعد أن بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ، وظل عبادة بن الصامت على العهد قائما ، وللوعد حافظا ، فهو يسير على هدى من ربه ، ونور من سنة نبيه .

وفى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل يزيد بن ابى سفيان الى عمر من الشام يقول :

يا أمير المؤمنين ، قد احتاج أهل الشام الى من يعلمهم القرآن ويفقههم .

فأرسل عمر بثلاثة أعلام من الرجال فى هذا المجال ، هم : عبادة بن‌الصامت ، ومعاذ بن‌جبل ، وأبوالدرداء ، رضوان الله على الجميع .

***

ولكن عبادة بن الصامت كان أسود اللون ... فهل عابه ذلك فى شيء ؟!

لا والله رب العباد .

ونحن الآن نعيش فى القـــرن العشرين الذى يسمونه

قرن الحضـــــارة والمدنية والنور ، ومع ذلك لا يزال الغربيون الذين يدعون أنهم أئمة هذه الحضارة ، يرتكبون من السيئات والمنكرات ما لا يمكن ان يدخل تحت المعنى الصحيح لكلمة « الحضارة » .

ولعل اقبح السيئات التى يأتيها ابناء الغرب فى مختلف بقاع الارض ، هى تلك التفرقة اللونية والعنصرية التى يثيرون غبارها ويشعلون ســـــعيرها بين البيض والسود ، لا لشىء الا لأن الله جلت حكمته قد خلق بعض الناس ببشرة بيضاء ، وبعضهم ببشرة سوداء ..

ومن أجل هذا الاختلاف فى اللون نجد البيض الذين يزعمون التمدن والتحضر والرقى يذيقون السود الوان العذاب ، ويسيمونهم أنواع الاضطهاد ، مما لا يتفق مع دين الهى ، ولا اخوة انسانية ، ولا زمالة بشرية ، ولاعهد ننادى فيه بالعدالة والمساواة .

وهنا يشرق نور الاسلام زاهيا باهرا رائعا ، يفيض بآيات الحكمة وينابيع الرحمـــة ، فان الاسلام العظيم لايقيم وزنا لاختلاف الالوان أو الاجناس أوالانساب أو الاحساب ، بل جعل الناس أمة واحدة من ناحية القيمة الانسانية والمكانة البشرية ، وجعلهم سواسية كأسنان المشط فى الاســـــتواء ، فلا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمي علي عربى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لاسود على أبيض ، الا بالتقوى .

وهذا عبادة بن الصامت ... أسود اللون ، ولكنه على الرغم من سواده ، نراه يعلو فى مكانته ، ويرتفع فى منزلته ، بفضل دينه وخلقه وعمله ، ولقد اشترك عبادة ـ مثلا ـ فى الفتح الاسلامى لمصر ، فكان نجمه ـ وهو

الاسود اللون ـ متألقا فى هذا الفتح ، حتى قاد الوفد الاسلامى الذى توجه لمفاوضة « المقوقس » ، وفى هـذه المفاوضـة جرى حـديث يتعلق بسواد عبـادة يتضمن ما يستحق التأمل والتدبر :

فى السنة العشرين للهجرة كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص ، ليتجه الى مصر ليفتحها باسم الاسلام، بعد أن طال الحاح عمرو على الخليفة ، ليأذن له فى ذلك الفتح . ومضى عمرو فى طريقه حريصا على اتمام هـذا الفتح بأسرع ما يمـكن ، حتى بلغ مع الجيش حصن « بابليون » .

وهناك لقى مقـاومة من الروم المحتلين ، فاستعان بالخليفة فأمده ، ثم اسـتعان به فأمده بأربعة آلاف جندى ، لهم أربعة قـواد ، كل قائد منهم يوزن بألف رجل ، وهم : عبادة بن الصـامت ، والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود ، ومسلمة بن مخلد ، وقال الخليفة لعمرو : « واعلم أن معك اثنى عشر ألفا ، ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة » ! .

وحدث أثناء الفتح أن كان عبادة بن الصامت يصلى وهو فى ناحية من معسكر المسلمين ، فهجم عليه جماعة من الروم ، فسلم من الصـلاة ، ووثب على فرسه ، وهاجمهم ففروا أمامه ، فتبعهم ، فجعلوا يلقون فى طريقه بأمتعتهم ونفائسهم ليشغلوه بها ، فما التفت اليهـا ، وما زال يطاردهم حتى اعتصموا منه بالحصن ، فعاد دون أن يلتقط شيئا من أمتعتهم ، ولمـا بلغ مكانه استأنف صلاته من جديد !!

وقوى ساعد المسلمين بالمدد ، وخاف الذين فى مصر العاقبة ، فأرسلوا الى عمرو بن العاص وفدا للمفاوضة ،

فعرض عليهم عمرو واحدة من ثلاث : اما أن يدخلوا فى الاسلام فيكونوا اخـــوة للمسلمين : لهم مالهم ، وعليهم ما عليهم ، واما ان يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ؛ ولهم الامان والدفاع عنهم بقوة المؤمنين : واما القتال حتى تضع الحرب أوزارها ، ويحكم الله بين الفريقين ، والله خير الحاكمين ! ..

وعاد الوفد الى المقوقس حاكم مصر ، فسألهم : كيف رأيتم المسلمين ؟ ..

قالوا : رأينا الموت أحب اليهم من الحياة ، والتواضع أحب اليهم من الرفعـــة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة (طمع أو ولوع) .

فأكد المقوقس لقومه أن أمثال هؤلاء لو أرادوا ازالة الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتالهم أحد ، وأشار عليهم بالاستمرار فى المقاومة للصلح ، وأرسل المقوقس الى عمرو يطلب منه أرسال وفد من جهته للتفاوض معه ، فأرسل عمرو الى المقوقس عشرة رجال من الجيش ،وعلى رأسهم القـائد الاسود ، والبطل المسلم : عبـــادة بن الصامت . ووكل عمرو الى عبادة أن يتكلم باسم الوفد ، وأن يكون رئيسا له ، كما أمره الا يقبل من المقوقس الا واحدة من الثلاث التى سبق ذكرها .

وتوجه الوفد الى المقوقس ، وفى طليعته عبـــــادة الصامت ...

فلما رآه المقوقس هاب سواده وطول قامته ـ فقد كان طول عبادة عشرة أشبار بمقياس السابقين ـ فقال : نحوا عنى هذا الأسود ، وقدموا غيره يكلمنى !!

فرد عليه الوفد بأجمعه قائلا : ان هذا الاسود افضلنا رأيا وعلما ، وهو سيدنا وخيرنا ، والمقدم علينا ، وانما

نرجع جميعا الى قوله ورأيه . وقد أمره الأمير ــ دوننا ــ
ــ بأمره ، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله .

فتعجب المقوقس من ذلك كثيرا ، وقال لهم يسألهم :

كيف رضيتم ان يكون هذا الأسود أفضلكم ، وانما ينبغي أن يكون هو دونكم ؟! .

فاجابوه بلغة الاسلام الحنيف الذي يسوى بين الناس ، وانما يعرف لهم أقدارهم بما يقدمونه من عمل وجهاد .
قالوا : كلا ، انه ــ وان كان أسود كما ترى ــ من أفضلنا موضعا ، وأفضلنا سابقة ، وعقلا ورأيا ، وليس ينكر السواد فينا !! ..

ولم يجد المقوقس مناصا من التسليم والرضى بالأمر، فقال لعبادة : تقدم يا أسود ، وكلمني برفق ، فانني أهاب سوادك ، وان اشتد كلامك على ازددت لك هيبة ! ..

واحتمل عبادة ما في كلام الرجل من جفوة ، فغرضه الذي جاء من أجله أهم بكثير من شخصه ، فتقدم نحو المقوقس وقال له بثبات :

قد سمعت مقالتك ، وان فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل كلهم مثلي ، وأشد سوادا مني ، وأفظع منظرا، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم مني ، وأنا قد وليت وأدبر شبابي ، واني مع ذلك ــ بحمد الله ــ ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعا ، وكذلك أصحابي .

وذلك انما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوا ممن حارب الله لرغبة في الدنيا ، ولا حاجة للاستكثار منها ، الا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا ، وجعل ما غنمنا من ذلك جلالا ، وما يبالي أحدنا أكان له قناطير من ذهب ، أم كان لا يملك

الا درهما ، لان غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليلته ونهاره . وشملة يلتحفها ، وان كان أحدنا لا يملك الا ذلك كفاه ، وان كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله تعالى ، واقتصر على هذا الذى بيده ، ويبلغه ما كان فى الدنيا ، لان نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورخاءها ليس برخاء ، وانما النعيم والرخاء فى الآخرة .

بذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا ، وعهد الينا الا لا تكون همة أحدنا فى الدنيا الا ما يمسك جوعته ، ويستر عورته، وتكون همته وشغله فى رضاء ربه ، وجهاد عدوه !! .

فلما سمع المقوقس منه ذلك ازداد هيبة له ورهبة منه ، فقال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره ، وان قوله لأهيب عندى من منظره ! .

وبعد أن نوه المقوقس بقوة المسلمين وغلبتهم ، التفت الى عبادة بن الصامت ، وقال له :

أيها الرجل الصالح ، قد سمعت مقالتك ، وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمرى ما بلغتم ما بلغتم الا بما ذكرت ، وما ظهرتم على من ظهرتم عليه الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها ، وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده : قوم معروفون بالشدة والنجدة ، ممن لا يبالى أحدهم من لقى ولا من قاتل ، وانا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم .

ثم عرض المقوقس على عبادة أن يأخذ لكل جندى من جيشه دينارين ، وللقائد عمرو مائة دينار ، وللخليفة ألف دينار ، على أن ينصرفوا .

وأجابه عبادة قائلا :

يا هذا ، لا تغرنك نفسك ولا أصحابك . أما ماتخوفنا

به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم ، وانا لا نقوى عليهم، فلعمري ما هذا بالذى تخوفنا به ، ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه . ان كان ما قلتم حقـــا فذلك ـ والله ـ أرغب ما يكون فى قتـالهم ، وأشـد لحرصنا عليهم ، لأن ذلك أعذر لنا عند الله اذا قدمنا عليه ، وان قتلنـا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوان الله وجنته ، وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب الينا من ذلك .

وأنا منكم حينئذ على احدى الحسنيين : اما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفـرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا ، وانها لأحب الخصلتين الينا بعـد الاجتهاد منا .

وان الله عز وجل قال لنا فى كتابه : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » . وما منا رجل الا وهو يدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة، والا يرده الى بلده ، ولا الى أرضه ، ولا الى أهله وولده ، وليس لأحد منا هم فيما خلفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه وأهله وولده ، وانما همنا ما أمامنا .

وأما قولك : انا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا ، فنحن فى أوسع السعة . لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه ، فانظر الذى تريده فبينه لنا ، فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ، ولا نجيبك اليها ، الا خصلة من ثلاث ، فاختر أيتها شئت ، ولا تطمع نفسك فى الباطل . بذلك أمرنى الأمير ، وبه أمره أمير المؤمنين ، وهو عهدرسول الله صلى الله عليه وسلم من قبله الينا :

اما اجابتكم الى الاسلام الذى هو الدين الذى لا يقبل الله غيره ، وهو دين نبينا وانبيائه ورسله وملائكته ـ

صلوات الله عليهم ـ أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه، ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فان فعل كان له مالنا ، وعليه ما علينا ، وكان أخانا فى دين الاسلام .

فان قبلت ذلك انت وأصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ، ورجعنـــــا عن قتالكم ، ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم . وان أبيتم الا الجـــزية فأدوا الينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، نعاملكم على شيء نرضاه نحن وأنتم فى كل عام أبدا ، ما بقينا وبقيتم ، ونقاتل عنكم من ناواكم ، أو عرض لكم فى شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم ، اذ كنتم فى ذمتنا ، وكان لكم به عهد علينا .

وان أبيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف ، حتى نموت عن آخرنا ، أو نصيب ما نريد منكم . هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا لأنفسكم .

وبعد مفاوضات تم الصلح ، وفتحت مصر ـ كنانة الله فى أرضه ـ أبوابها لأضواء الاسلام ، بعد أن تألق نجم القائد الأسود : عبادة بن الصامت فى هذا الفتح ، وبعد أن أوقع الهيبة والرهبة فى قلوب أعدائه .

***

وكان عبادة كما يصفه المؤرخون رجلا فاضلا خيرا .

وكانت له مفخرة أخرى علمية فقهية ، فقد كان من رواة الحديث النبوى الشريف ، حتى يقول عنه الامام ابن حجر : « وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا » . وقد روى عبادة عن رسول الله مائة وأحدا وثمانين حديثا، اتفق البخارى ومسلم منها على ستة ، وانفرد البخارى بحديثين : ومسلم بآخرين .

وروى عنه من الصحابة : أنس ، وجابر ، وابو أمامة ، وفضالة ، ورفاعه بن رافع ، ومحمود بن الربيع .

وروى عنه جمع من التابعين ، منهم أولاده : الوليد ، وعبد الله ، وداود ، وغيرهم خلائق .

وكان معاوية ينقل الرواية عن عبادة ، ويقف عند المنبر يقول : « الحديث كما حدثنى عبادة ، فاقتبسوا منه ، فهو أفقه مني » (1) ! .

وكان عبادة يراجع معاوية فى أشياء ، مما يدل على قوته فى دين الله ، وجرأته فى الحق ، وحسن قيـــامه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ولم يقبل عبادة أن يشترك فى الفتنة زمن معاوية ، بل كان ينهى معاوية عن الاستمرار فى تلك الفتنة .

ويروى صاحب « العقد الفريد » الخبر التالى :

قالوا : لما قدم عمرو بن العاص على معاوية ، وقام معه فى شأن على ، بعد أن جعل له مصر طعمة ، قال له : ان بأرضك رجلا له شرف واسم ، والله ان قام معك استهويت به قلوب الرجال ، وهو عبادة بن الصامت .

فأرسل اليه معاوية ، فلما أتاه وسع له بينه وبين عمرو بن العاص ، فجلس عبـــادة بينهما ، فحمد الله معاوية وأثنى عليه ، وذكر فضل عبادته وسابقته ، وذكر فضل عثمان بن عفان وما قاله ، وحضّه على القيام معه.

فقال عبادة : قد سمعت ما قلت . أتدريان لم جلست بينكما فى مكانكما ؟

قالا : نعم ، لفضلك وسابقتك وشرفك ! . .

قال : لا والله ، ما جلست بينكما لذلك ، وما كنت لأجلس بينكما فى مكانكما ، ولكن بينا نحن نسير مع رسول

(1) الاصابة ج ٢ ص ٢٦٠ .

الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة تبوك ، اذ نظر اليكما تسيران وأنتما تتحدثان ، فالتفت الينا فقال : اذا رأيتموهما اجتمعا ففرقوا بينهما ، فانهما لا يجتمعان على خير أبدا . وأنا أنهاكما عن اجتماعكما ، فأما مادعوتمانى اليه من القيام معكما ، فان لكما عدوا هو أغلظ أعدائكما عليكما ، وأنا كامن من ورائكم فى ذلك العدو ، ان اجتمعتم على شيء دخلت فيه (١) .

وقد جاء فى كتابى « غربة الاسلام » أن الامام احمد ذكر فى مسنده عن عبادة بن الصامت انه قال لرجل من أصحابه : « يوشك أن طالت بك الحياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فأعاده وأبداه ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه ، ونزل عند منازله ، لا يجوز فيكم الا كما يجوز الحمار الميت . ومعنى يجوز : يسير ويروج ، والمعنى : ان منزلته تكون بينكم ضائعة .

***

ولقد اقام عبادة فى « حمص » بالشام زمنا ، ثم لأمر يعلمه الله انتقل الى فلسطين ، واختار أن يقيم فى مدينة الرملة من أرض فلسطين ، وهى مدينة عظيمة ، كان فيها رباط المسلمين ، وكان الصليبيون قد احتلوا هذه المدينة ، واستردها منهم صلاح الدين الايوبى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

وقد تولى عبادة قضاء فلسطين ، ويقول الامام الاوزاعى ان عبادة هو أول من ولى قضاء فلسطين ، وكان معاوية قد خالفه فى شيء أنكره عليه عبادة ، فأغلظ له معاوية فى القول .

---

(١) العقد الفريد ، ج ٢ ص ١٥٢ طبعة الاستقامة .

فقال له عبادة : لا أساكنك بأرض واحدة أبدا .

ورحل عبـــادة الى المدينة ، فقال له الخليفة عمر : ما أقدمك ؟ .

فقص عليه ما حدث .

فقال له عمر : ارجع الى مكانك ، فقبح الله أرضا لست فيها أنت ولا أمثالك ! .

وكتب عمر الى معـــاوية يقول له : لا امرة لك على عبادة (١) .

***

وظل عبادة بن الصامت يعبد ربه ، ويجاهد فى سبيله ، ويقيم فى أرض فلسطين ــ ردها الله على العرب والمسلمين ــ حتى بلغ عمره اثنين وسبعين عاما ، وحينما أحس بدنو الموت ، دعا اليه ابنه « الوليد » ليوصيه ، فقال له :

« يابنى ، اتق الله ، واعلم أنك لن تتقى ، ولن تبلغ العلم ، حتى تؤمن بالله وحده ، والقدر خيره وشره ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان أول ماخلق الله القلم ، فقال له : اكتب .

فقال : يا رب ، وما أكتب ؟ .

قال : اكتب القدر .

فجرى القلم فى تلك الساعة بما كان ، وما هو كائن الى الأبد (٢) .

***

وفى عام أربعة وثلاثين للهجرة لحق بربه العالم القارىء المقرىء ، القائد الأسود : عبادة بن الصامت .

---

(١) الاستيعاب ، ج ٢ ص ٤٤٢ .
(٢) تفسير القرطبى ، ج ١٨ ص ٢٢٥ .

وكانت وفاته فى مدينة « الرملة » من أرض فلسطين(١).
وقيل :كانت وفاته فى بيت المقدس (القدس) ، وقيل : فى قبرص .
وقيل أن وفاته كانت سنة خمس وأربعين (٢) .
سلام عليه فى المجاهدين الخالدين .

---

(١) الطبقات الكبرى ، ج ٣ ص ٩٤ القسم الثانى .
(٢) انظر في وفاته : العبر ج ١ ص ٣٥ . والاستيعاب ج ٢ ص ٤٤٢ والاصابة ج ٢ ص ٢٦٠ .

المجاهد حامل التراب
عاصم بن عمرو التميمى

لعل أكبر عيب ابتلى به أبناء أمتنا فى أوقات تفرقهم وتمزقهم هو حب الذات ، أو شهوة النفس ، وبهذا العيب الآثيم ضاعت عليهم مغانم ومكاسب ، ولحقت بهم نكبات ومصائب ، لأن رغبات النفوس متعارضة متناقضة ، ومتى تصادمت حطم بعضها بعضا ، ولا يمكن أن يتم بناء، أو يستقر كيان ، اذا كان هذا يشرق وذاك يغرب ، أو كانت هناك يد تبنى وأخرى تدمر ، ومن هنا قال القائل الحكيم :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه
اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟

ولقد تبلغ شهوة النفس بصاحبها المنحرف حدا يجعله يضحى بقومه وأمته فى سبيل لذة رخيصة يمارسها ، أو جاه كاذب يحصل عليه ، مع أن الاسلام العظيم قد علم أبناءه أن يسحقوا رغبات نفوسهم أمام عزة دينهم ، وأن يحرقوا شهوات ذواتهم بنيران الغيرة على مصلحة أمتهم .

والقرآن الكريم يهتف : « قل : الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » . ويقول : « الا لله الدين الخالص » .

ويقول سيد الخلق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « من جاهد لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » .

ولقد تطلع بعض الصحابة الى شيء من الامارة ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « انا والله لا نولى على هذا العمل أحدا سأله ، ولا أحدا حرص عليه » .

ولقد كان المؤمنون الأوفياء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينسون أنفسهم وأهلهم وحياتهم فى سبيل ارضاء ربهم ، واعلاء كلمة دينهم ، واعزاز شأن وطنهم ، وكانوا يقبلون القيام بأى عمل مهما قسا أو اشتد من أجل مايسعون اليه ، وهو توطيد كلمة التوحيد ،والاصرار على توحيد الكلمة .

***

وهذا واحد منهم :

انه الصحابى الفارس ، الشاعر المجاهد ، البطل الفاتح : عاصم بن عمرو التميمى ، الذى أبلى فى فتوح العراق ، وحروب فارس أحسن البلاء ، دون فخر أو مباهاة أو منّ ، ودون انحراف عن طريق الاخلاص لله والحق .

ولقد ذهب وفد من الجيش الاسلامى الى كسر ى ملك الفرس للتفاوض معه وكان فيه بطلنا عاصم بن عمرو ، ولما سألهم كسرى عن شأنهم أجابه النعمان بن مقرن : « ان الله رحمنا فأرسل الينا رسولا يدلنا على الخير ، ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر ، وينهانا عنه ، ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة » .

وتجبر كسرى فأساء الحديث مع الوفد ، وقال لجنوده :

« ايتونى بوقر من تراب (أى حمل) فاحملوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من البلد » .

وسارع جنود كسرى باحضار كيس التراب ، وقال

كسرى للوفد : من أشرفكم ؟ .. فسكت القوم تواضعا ، ولكن عاصم بن عمرو قال بعد هنيهة : أنا سيد هؤلاء ، فاحملوا التراب على .

ولم يقل عاصم هذا تعاليا أو تعاظما ، بل لحكمة ، دقيقة عميقة ، فقد رأى عاصم فى هذا العمل من كسرى فألا حسنا للمسلمين ، اذ اعتقد أن حمله التراب من أرض فارس رمز الى استيلاء المسلمين عليها عما قريب .

وسارع عاصم بالعودة مع رفاقه الى قائدهم سعد بن أبى وقاص وهو يهتف قائلا : بشروا الأمير بالظفر ، ظفرنا ان شاء الله تعالى ، أبشروا فقد ــ والله ــ أعطانا الله أقاليد (١) ملكهم .

واستجاب الله رجاء عاصم ، فلم يزل أمر المسلمين يعلو ويسمو ، وأمر الفرس يذل ويهون ، حتى أتم الله النصر لعباده ، وسيطر الاسلام على جميع فارس .

وحينما علم رستم قائد الفرس بما فعله كسرى (يزدجرد) مع عاصم تألم وتشاؤم ، وقال عن عاصم : « انه ليس بأحمق ، وليس هو بأشرفهم ، وانما أراد أن يفتدى قومه بنفسه ، ذهبوا والله بمفاتيح أرضنا » .

وحاول رستم أن يسترد التراب من عاصم ، ولكنه لم يدركه .

وقد اشترك عاصم بن عمرو التميمى فى معركة القادسية التى قادها سعد بن أبى وقاص ، وكان يوصى الجنود بأن يرددوا قولهم : لا حول ولا قوة الا بالله ، ويرددوا قوله تبارك وتعالى : «ولقدكتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون » .

(١) الاقاليد : جمع اقليد ، وهو المفتاح . (النهاية) .

وناضل عاصم حينئذ نضال المؤمن الموقن فى تواضع وخشوع ، ولم لا يفعل وهذا هو الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يظل قلقا من أجل المعركة وهو فى المدينة، وكان يخرج كل يوم منها الى ناحية العراق ، يستنشق الأخبار ، ويستنبىء كل من لقيه من الركبان ، وذات يوم رأى عمر شخصا راكبا يلوح من بعد ، فاستقبله واستخبره عن المعركة ، فقال الراكب لعمر ، وهو لايعرف انه عمر : لقد فتح الله على المسلمين بالقادسية ، وغنموا غنائم كثيرة . وظل الرجل يحدث عمر عن أخبار المعركة ، وعمر يمشى على قدميه بجوار الرجل وهو راكب ، فلما دخلا المدينة جعل الناس يحيون عمر بامارة المؤمنين ، فعرف الرجل أنه عمر ، فقال : يرحمك الله يا أمير المؤمنين ، هلا أعلمتنى انك الخليفة ؟ .

فقال عمر فى تواضع وهدوء : لا حرج عليك يا أخى !

***

وجاءت معركة « المدائن » ، والمدائن مجموعة من المدن بناها الاكاسرة ، كل واحد منهم كان اذا ملك بنى مدينة بقرب التى قبلها ، وسمى الكل بالمدائن ، وقيل أنهما كانت سبع مدائن .

وكان على الجيش الاسلامى أن يعبر نهر دجلة ، وهو يفيض بالماء والزبد والموج ، وكانت مهمة العبور قاسية ، لشدة التيار من ناحية ، وترصد الأعداء للعابرين من ناحية أخرى .

ونادى القائد : من يبدأ العبور ؟

وسارع عاصم بن عمرو بالاستجابة ، وتبعه مئات ، فجعله القائد أميرا عليهم .

واندفع عاصم ومن معه بخيولهم فى الماء ، لا يخافون

الغرق ، ولا يهابون ترصد الاعداء .

وبعد مشقة نجح العبور ، وشارك فيه الجيش كله بعد ذلك ، وبدات المعركة ، وأطلت بشائر النصر ، وزادت الطمانينة فى نفوس الجنود . لانهم كانوا يحسبون حسابا عنيفا لعملية العبور ، فحينما نجحت وثقوا بالفوز والغلبة ، ولم لا وهم مؤمنون بالله ، معتمدون عليه ، معتصمون بحبله ، لا تفرق بينهم ولا تمزق ، بل وحدة فى الهدف ، ووحدة فى الصف ! .

وكانت كتيبة عاصم بن عمرو التميمى هى أول كتيبة تدخل « المدائن » فاتحة منتصرة .

وقد أطلقت السيرة العطرة على هذه الكتيبة العاصمية اسم « كتيبة الأهوال » .

ومع كل هذا الجهد ، وهذا المجد ، لم يزدد عاصم بن عمرو الا تواضعا وخشوعا لله عز وجل .

***

ولعاصم بن عمرو نوادر ومواقف فى الشجاعة والجرأة، والاقبال على مواطن الأخطار والأهوال ، كما حدث فى بعض المعارك ، حين توغل عاصم فى صفوف الاعداء من الفرس ، حتى غاب عن عيون قومه ، وخافوا عليه مغبة ذلك ، ولكنه بعد حين عاد اليهم ، وقد أسر خباز ملك الفرس ، واستولى على كميات كبيرة من أطعمته الفاخرة .

يقول عن ذلك أبو الحسن المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » :

« ... وحمى الوطيس . وخرج عاصم بن عمرو يقول :

قد علمت بيضــــــاء صــفراء اللبب
مثل اللجين يتغشـــــــاه الذهب
أني امرؤ لا من يعنيه السبب
مثـــــلي على مثلك يغريه العتب (١)

فبرز اليه عظيم من أساورتهم (٢) ، ثم ان الفارسي ولى ، واتبعه عاصم حتى لجأ الى صفوفهم . وعموه ، وغاص عاصم بينهم ، حتى أيس الناس منه ، ثم خرج من مجنبات القلب (٣) ، وقدامه بغل عليه صناديق موكبية بآلة حسنة ، فأتى به سعد بن مالك ، وعلى البغل رجل عليه مقطعات ديباج ، وقلنسوة مذهبة ، واذا هو خباز الملك ، وفي الصـــناديق لطائف الملك من الاخبصـــة (٤) والعسل المعقود ، فلما نظر اليه سعد قال :

انطلقــــوا الى أهل موقفه ، وقولوا : ان الأمير قد نفلكم (٥) هذا فكلوه ، ففعلوا (٦) .

***

سلاما ســلاما على البطل المؤمن المخلص المجاهد : عاصم بن عمرو التميمي ، أحد الصحابة الاوفياء الذين أخلصوا لربهم دينهم ، وصدقوا مع رسول الله عهدهم ، ووحدوا صفهم ، ووحدوا هدفهم . ووحدوا غايتهم ، ووحدوا قبلتهم ، فاســـتحقوا النصر والأجر والذكر ،

---

(١) اللبب : موضع القلادة من العنق ، واللجين : الفضة ، والعتب : الشدة .

(٢) الاساورة : جمع أســوار ، وهو قائد الفرس ، والجيد الرمي بالسهام ، والثابت على ظهر الفرس .

(٣) المجنبات : جمع مجنبة ، وهي المقدمة .

(٤) الاخبصة : جمع خبيص ، والخبيص حلوى تصـــنع من التمر والسمن .

(٥) نفلكم هذا : وهبكم هذا .

(٦) مروج الذهب للمسعودي ، ج ٢ ص ٣١٢ طبعـة دار الاندلس ببيروت .

رضوان الله عليهم أجمعين .

ومن واجب أتباع محمـــد عليه الصلاة والسلام أن يتذكروا دائما وأبدا أن أمر هـــذه الأمة لن يصلح فى حاضرها الا بما صلح به فى ماضيها : ايمان وعمل ، ووفاء وفداء ، واعتصام بحبل الله ولى الأولياء .

وليتذكروا انه لا حياة لأمة تجعل بأسها بينها شديدا. وعدوها من حولها يحاول بكل ما استطاع أن يقـدمها فريسة سهلة لطمعه وجشعه .

ولا حيـاة لامة تستبد بهـا شهوات النفوس ورغبات الأهواء والذوات ، حتى تعميها عن واجبها المقدس ، وهو أن تكون يدا واحدة ، تحت لواء واحد : هو لواء الله الحق الذى يقول : « وان هذه أمتكم أمة واحدة ، وانا ربكم فاتقون » .

المجاهد باللســان والســنان

القعقاع بن عمرو التميمى

يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « المؤمن يجاهد بلسانه وسيفه » . والجهاد باللسان لا يقتصر على حديث الحوار أو الجـــدال بين المؤمن وغيره ، أو حديث التحريض والحث والحض على الاقدام والثبات ، بل يشمل الجهاد باللسان تلك الصيحات المجلجلة التى يرسلها المجاهد فى حومة الوغى ، وهو مقبل على عــدوه ليزلزل أركانه ، ويقوض بنيانه ، ويوقد بها الحمــاسة والشجاعة فى صدور من حوله من رفاق السلاح وزملاء المعركة .

ولذلك كانت « صيحة التكبير » شعار المجاهدين فى الاسلام ، وما يكاد هؤلاء المناضلون المقدمون على المعركة يهتفون قائلين : الله أكبر ، حتى ينسوا دنياهم ، ويتذكروا أن الله أكبر من كل شىء ، وأنه أهل للتضحية فى سبيله بكل شىء ، لانه واهب كل شىء ، فهـــو واهب الفــوز والنصر ، وهـــو ولى الثواب والأجر ، وهو خــير الناصرين .

فليس أمام هؤلاء الا أن ينتصروا ليعـــزوا كلمة الله العادل فى الأرض ، أو ينالوا الشهادة ليرتفع ذكرهم بين أهل السماء .

وأما الجهـــاد بالسيف فرمز الي استخدام كل عدة وعتاد فى المعركة ، وتوفير كل وسيلة من وسائل الدفاع والهجوم فى قهر الأعداء وتحقيق الانتصار ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء ، وهو العزيزالرحيم.

ولقد كان تلاميذ خاتم المرسلين محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ طرازا فريدا فى الجهاد الصادق بالقلب والنية، والجهاد باللسان والكلمة ، والجهاد بالسلاح والعتاد ،حتى استحقوا وصف ربهم لهم وهو أصدق القائلين : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

وهذا واحد من هؤلاء :

انه الصحابى الجليل ، ذو الباع الطويل فى القتـــال والنضـــال ، فارس اللسان ، وفارس السنان ، وبطل الميدان : القعقاع بن عمرو التميمى ، أحد فرسان العرب وابطالهم فى الجاهلية والاسلام ، والناس معادن ـ كمـــا يقول الحديث الشريف ـ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا .

ولقد سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماأعددت للجهاد ؟ .

أجاب : طاعة الله ورسوله والخيل .

فقال له النبى : تلك الغاية .

وكان القعقاع شاعرا فحلا ، يرتفع صوته مرددا أناشيد البطولة وقصائد الرجولة ، ومن شعره :

يدفعـــون قعقـــاعا لكل كريهة
فيجيب قعقـــاع دعاء الهـــاتف

وكذلك قوله :

ولقد شهدت البرق برق تهـــــامة
يهـدى المناقب راكبـــا لعيار

في جند سيف الله سيف محمد
والسابقين لسنة الأحـــــرار

ولكنه لم يكن قوالا دون أن يكون فعالا ، ولم يكن من أولئك الذين قيل فيهم : « أسود الكلام نعام الوغى » .

بل كان من الأوفياء الشرفاء ، الذين يصدقون أقوالهم بأعمالهم ، فهو يتغنى بالشجاعة والاقدام ، وهو يضرب القدوة فى التضحية عند الالتحـــام ، ولذلك قال فيه الصديق أبو بكر رضى الله عنه :

« لا يهزم جيش فيه القعقاع بن عمرو » ! .

وكانت فيه ميزة محمودة ، هى أنه يصيح الصيحة وسط المعركة ، فيزلزل بها نفوس أعدائه ، ويبعث بها الثقة والشجاعة فى صدور زملائه . وقد عرف أبو بكر أثر هذه الصيحة فى توجيه المعركة فقال :

« صوت القعقاع فى الجيش خير من ألف رجل » ! . .

ولقد كان القعقاع ــ الشاعر صاحب الصيحة المزلزلة ــ أميرا من أمراء الثغور مع سيف الله خالد بن الوليد وحضر مع الامام على ــ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ــ موقعة « صفين » ، مناصرا للامام ، واثقا أنه على الحق .

وشهد فتح دمشق ، وأكثر المعـــارك التى دارت بين المسلمين والفرس ، ويقول عنه ابن حجر : « وله فى قتال الفرس بالقادسية وغيرها بلاء عظيم (١) » .

وشهد معركة « اليرموك » (٢) فى أرض الشام ، وجاهد فى هذه المعركة جهاد الأبطال ، وهى المعركة التى استطاع فيها الجيش الاسلامى أن يطهر الشام من احتلال الروم ،

(١) الاصابة ، ج ٥ ص ٢٤٤ ، المطبعة الشرقية .
(٢) اليرموك واد بناحية الشام فى طرف الغور ، يصب فى نهـــر الاردن . وراجع تفاصيل معركة اليرموك فى كتابى : « فدائيـــون فى تاريخ الاسلام » ص ٢٥٩ ــ ٢٦٧ .

حتى أن هرقل ملكهم ارتحل مع جنوده منهزما ، وهـو يقول فى لوعة وحزن :

« سلام عليك ياسوريا سلاما لا لقاء بعده » ! . .

وشهد القعقاع بن عمرو موقعة « القادسية » التى كانت فى المحرم سنة أربع عشر للهجرة (١) .

وكانت من أعظم الوقائع الاسـلامية خيرا للاسلام ، وبركة على المسلمين .

ويروى التاريخ أن القعقاع بن عمرو خرج فى معركة القادسية أمام الصف ، ونادى فى أعدائه :

هل من مبارز ؟ .

فخرج اليه عظيم منهم ، فسأله القعقاع : من أنت ؟ .

فأجاب : أنا بهمن بن جاذويه .

فتذكر القعقاع اعتداء « بهمن » هذا على المسلمين فى معركة « يوم الجسر » ، فهتف فى غضب :

يالثارات أبىعبيد وسليط وأصحابهما يوم الجسر(٢) !

واندفع القعقاع نحوه كالصاعقة ، فما تركه الا قتيلا مجندلا .

وكان أشد ما آذى المسلمين فىمعركة القادسية هى تلك الأفيال الضخمة الهائلة المصفحة بالحديد والزرد ، والتى كانت تهجم على صفوف المسلمين بلا ارعواء .

وأراد القعقاع أن يستريح المسـلمون من هول هذه الفيلة ، فنادى بين المجاهدين بصيحته المعروفة قائلا : من يهب نفسه لله ، من يهب نفسه للجنة ؟ .

فسارع اليه جمع من المجاهدين ، وعاهـدوا على أن

---

(١) هناك خلاف بين المؤرخين فى تحديد وقتها والقادسية بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا .

(٢) انظر كتابى : « بين الوفاء والفداء » ص ٣٠ ـ ٣٩ فهنـاك التفاصيل .

يهاجموا الفيلة مترجلين ، وشرعوا السيوف فى أيديهم ، وأقبلوا بلا خوف ولا تردد على كوكبة الأفيال ، فأخذوا يوجهون اليها ضرباتهم ، فى خراطيمها وعيونها ومقاتلها.

فهاجت الأفيال وماجت ، وارتدت على أعقـــابها ، وأخذت تقلب أصحابها من فوق ظهورها ، وتطأ جنود الفرس وهى تعدو الى الخلف مذعورة مجنونة .

وكان من نتيجة ذلك أن لقى « رستم » قائد الفرس مصرعه ، وتبدد جيشه ، ونصر الله المؤمنين يومئذ نصرا مبينا. ويروى التاريخ ان القعقاع بن عمرو اشترك مع أخيه « عاصم » يومئذ فى قتل الفيل الأكبر .وظل القعقاع يقاتل ويتقدم ، حتى بلغ السرير المخصص لرستم قائد الفرس ، وبذلك كان القعقاع قدوة رائعـــة للمناضلين عن يمينه وشماله .

ولقد كتب الخليفة عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص يسأله : أى فارس كان أفرس فى القادسية ؟ .

فرد عليه سعد يقول : انى لم أر مثل القعقاع بن عمرو، حمل فى يوم ثلاثين حملة ، يقتل فى كل حملة بطلا ! .

وهكذا يكون الرجال ، ويكون الأبطال .

والقعقاع هو ــ كما جاء فى الاصابة ــ الذى غنم فى فتح المدائن أدراع كسرى ، وكان فيهـا درع لهرقل ، ودرع لخاقان ، ودرع للنعمان ، وسيفه ، وسيف كسرى .

ومع كل هذه الجهود لم يكن القعقاع طالب دنيا ، ولا متطلعا الى مال أو متاع ، وكان أعظم ما يفخر به هو ما وفقه الله اليه من صدق الجهاد فى سبيله ، ولذلك كان أسمى ما يتزين به القعقاع أن يتقلد سيف هرقل ملك الروم ، وأن يلبس درع بهرام ملك الفرس ، وكان القعقاع قد حصل على السيف والدرع ــ كما عرفنا ــ من مغانم

المعارك التى دارت بين المسلمين وأعدائهم .

ولقد سكن القعقاع مدينة الكوفة ، وتوفى رضوان الله عليه سنة اربعين للهجرة .

***

ان لدولة الايمان جنودا خالطت قلوبهم بشاشة اليقين، ونور الثقة بالله جل جـــلاله ، فانطلقوا فى رحاب الكون مؤدبين لأهل الطغيـــــان (١) محررين لتراب الأوطان ، ضاربين خير المثل لبنى الانسان ، فى العدل والايمان ، فأعزهم ربهم بعزه ، وأيدهم بنصره .

وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم .

---

(١) من كلام القعقاع : « والقول الذى هو الحق أنه لابد من امرة تنظم الناس ، وتزع الظالم (أى تردعه) وتعز المظلوم » .

المجاهد القائد الشهيد
عقبة بن عامر الجهنى

قد يبرع الانسان فى ناحية من النواحى ، أو صفة من الصفات ، فيذكره الناس بها ، ويثنون عليها ، ولكنه يبقى مع هذا ضعيفا فى عدة جهات ، أو تنقصه جملة صفات .

وقد يبرع الانسان فى أكثر من جهة ، ولكن رذيلة من الرذائل تسيطر عليه ، فتجحف به وتسىء اليه .

وأفاضل الناس هم الذين استطاعوا أن يحققوا لأنفسهم ما يمكن أن نسميه : « توازن الشخصية » .

والشخصية مجموعة صفات ومقومات ، اذا توافرت لصاحبها وتعادلت ، جعلته عظيما محمودا عند الله وعند الناس ، اذ يشهدون فيه سلامة الحس ، وطهارة النفس ، ودقة الفهم ، وعمق العلم ، وصحة القول ، وحسن الفعل ، ولين الجانب مع الضعفاء ، وصرامة الشدة مع المجرمين والأعداء ، فهو يستحق أن يعد من أهل الصفاء والفداء ، الذين هداهم ربهم سواء سبيله ، وآتاهم من فضله وحكمته : «يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الألباب » .

وهذا واحد ممن توافر لهم توازن الشخصية ، فكان فى الدين مؤمنا موقنا ، وكان فى العلم كبيرا واسعا ، وكان

فى العمل مجيدا محسنا ، وكان فى الجهاد والنضال مثلا فى الوفاء والفداء .

انه الصحابى الجليل ، الفقيه الجامع للقرآن ، المحدث الشاعر ، القائد الشجاع ، المجاهد الشهيد : أبو حماد عقبة بن عامر بن عيسى بن عمرو بن عدى بن رفاعة الجهنى (١) رضى الله عنه .

وهو رجل تولى امارة مصر سنوات ، وعاش فيها ، واستشهد بها ، ودفن فى ترابها . ولقد أسلم فتى يافعا . فيروى مسلم فى صحيحه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، وكان عقبة يرعى الغنم ، فلما سمع بقدوم النبى ، ترك غنمه وذهب اليه ، وقال له : بايعنى . فبايعه النبى عليه الصلاة والسلام (٢) .

ثم ظل عقبة بعد ذلك مايقرب من ستين عاما ، يجاهد ويناضل ، ويسعى فى سبيل الله ، وربط عقبة نفسه بخدمة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكان يأخذ بزمام بغلته ، ويقودها فى الأسفار ، وكان رديفا لرسول الله ، أى يركب خلفه ، أو يتعاقب معه الركوب فى بعض الأحيان .

ومن هنا استطاع عقبة أن يروى الكثير من الاحاديث عن الرسول . وهو يروى لنا مثلا أنه كان ذات يوم آخذا بزمام بغلة النبى فى بعض غاب المدينة ، فقال له النبى : يا عقبة ، الا تركب ؟ .. فخاف عقبة أن يكون عاصيا لله اذا رفض الركوب ، فركب هنيهة مكان الرسول ثم نزل .

---

(١) النجوم الزاهرة : ج ١ ص ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق . وقد أخرج هذا الحديث . داود النسائى .

وهنا قال له الرسول عليه الصلاة والسلام : الا أعلمك سورتين ؟ ..

فقال : بلى يا رسول الله .

فعلمه سورة : قل أعوذ برب الفلق ، وسورة : قل أعوذ برب الناس ، وقال له اقرأهما كلما نمت وقمت (١) .

ولقد روى النسائى عن عقبة بن عامر قال :

أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو راكب ، فوضعت يدى على قدمه ، فقلت : اقرئنى سورة هود ، اقرئنى سورة يوسف .

فقال لى : « ولن تقرأ شيئا أبلغ عند الله من : « قل أعوذ برب الفلق » .

وعنه قال : بينما أنا أسير مع النبى صلى الله عليه وسلم بين الجحفة والأبواء ، اذ غشيتنا ريح مظـــلمة شديدة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ : « أعوذ برب الفلق » و « أعوذ برب الناس » ، ويقول « يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما » .

وعن عقبة كذلك قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل .

قلت : ما أقول ؟ ..

قال : « قل هو الله أحد . قل أعوذ برب الفلق . قل أعوذ برب الناس » .

فقرأهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « لم يتعوذ الناس بمثلهن ، أو : لا يتعوذ الناس بمثلهن » .

وروى عقبة أيضا عن النبى عليه الصلاة والسلام قوله : « عجب ربك من شاب ليست له صبوة » .

ويبدو أن عقبة قد انتفع بهذا التوجيه المحمدى الكريم ،

---

(١) النجوم الزاهرة ٠ ج ١ ص ١٢٩

فكان مجاهداً شجاعا ، فقيها شاعرا ، فصيحا مفوها ، قارئا مقرئا ، عالما بالفرائض ، وكان أحد الذين جمعوا القرآن الكريم وحفظوه (١) .

وبذلك توافرت له مقومات الشخصية الاسلامية المعتصمة بحبل الله عز وجل .

وفي آخر مرة رأى فيها عقبة رسول الله روى عنه الحديث التالي : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : « انني بين أيديكم فرط وانا شهيد عليكم ، وان موعدكم الحوض ، واني لأنظر اليه من مقامي هذا ، واني لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها » .

قال عقبة : فكانت آخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

وكان عقبة بن عامر احد الصحابة الذين اشتركوا في فتح مصر مع عمرو بن العاص ، وكان ذلك سنة ست وعشرين (٣) ، في خلافة عمر بن الخطاب (٤) . وشهد كذلك كثيرا من الفتوح والمعارك ، وكان هو الرائد الى عمر بفتح دمشق (٥) ، ثم تولى الامارة على مصر سنة أربع وأربعين للهجرة ، وظل في امارتها أكثر من ثلاث سنوات .

وكان الذي ولاه على مصر هو معاوية بن أبي سفيان ،

---

(١) البرهان للزركشي : ج ١ ٢٤٣ . والاتقان للسيوطي : ج ١ ص ٧٤ طبعة حجازي . والعبر للذهبي ج ١ ص ٦٢ طبعة الكويت .
(٢) نفح الطيب ، ج ٥ ص ٣٨٣ طبعة صادر ببيروت .
(٣) وقيل سنة تسع وعشرين .
(٤) صبح الاعشى . ج ٣ ص٤١٩ . والنجوم الزاهرة : ج ١ ص١٢٧
(٥) النجوم الزاهرة . ج ١ ص ٤١٩ .

ثم عزله سرا دون أن يعلمه ، وولى مكانه مسلمة بن مخلد، وفى الوقت نفسه كلف معاوية عقبة أن يخرج الى غزوة فى البحر الابيض المتوسط ، لفتح جزيرة رودس .

ولما علم عقبة بعد ذلك بعزله تعجب من تصرف معاوية وقال : ما أنصفنا معاوية ، عزلنا وغربنا ؟ ..

وفى رواية أنه قال : أغربة وعزلا ؟ ..

ولكن ذلك لم يجعله يتقاعس عن الواجب ، أو يتأخر عن الجهاد ، أو يخاف ركوب البحر .

بل خرج فى شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين ، متوجها الى الاسكندرية .

وهناك ركب البحر مع جنوده ، وتوجه الى جزيرة رودس لفتحها ، ومعه كثير من أهل مصر (١) .

وكان عقبة أول من نشر الرايات على السفن (٢) .

وهكذا نرى أن أسلافنا الأماجد ـ منذ قرابة اربعة عشر قرنا ـ لم يجاهدوا حق الجهاد فوق اليابسة فقط، او فى بيئتهم التى عرفوها وما حولها فحسب. بل انساحوا فى مشارق الارض ومغاربها ، وفى ايمانهم كتاب الله عز وجل ، الذى « يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وكما احسنوا الجهاد فى البر، احسنوا الجهاد فى البحر، مع أن القتال فى البحر لم يكن معروفا عندهم ، ولا مألوفا لديهم ، ولكن ايمانهم بربهم ، وصدق توكلهم عليه ، وقوة اعتصامهم بحبله ، جعلهم يخوضون الغمرات ، ويقاومون

(١) تاريخ الطبرى . ج ٥ ص ٢٣١ . والنجوم الزاهرة . ج ١ ص ١٢٧ و ١٢٨ .

(٢) النجوم الزاهرة . ج ١ ص ١٢٧ .

اللجج والأمواج ، مرددين قول خالقهم فى ثقة ويقين : « قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا ، هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

وقوله : « فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين ، أن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعـــــده وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

ومع أن عقبة بن عامر ظل عشرات من السنين يؤدى واجبه أداء حسنا فى ساحات الميادين ، وعند اشتداد المعارك ، كان متفقهــا فى دينه ، خبيرا بصناعة الشعر وصياغة البيان . وفوق انه جمع القرآن وحفظه ، فانه كتب بيده نسخة من كتاب الله عز وجل ، وكتب فى آخرها قوله : « وكتبه عقبة بن عامر بيده » ؟ ..

وكان محدثا حافظــــا لكثير من الأحاديث النبوية الشريفة ، وروى عنه الحديث جماعة من الصـــــحابة والتابعين منهم عبد الله بن عباس، وأبو امامة ، وجبير بن نفير ، وبعجة بن عبد الله الجهنى ، وأبو ادريس الخولانى، وخلق من أهــل مصر ، وكان آخر من روى عنه بمصر أبو قبيل (1) .

ويحدثنا التاريخ بأن أهل مصر وحدهم رووا عنه مائة حديث ، وكان لهم فى عقبة اعتقاد عظيم . والى جوار علمه وفقهه وتحديثه ، مع جهاده ونضاله وثباته ، كان متعبدا خاشع الصلاة ، ولعله قد أحسن الانتفاع بالحديث الذى حدثه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورواه عنه ، حيث قال : « من توضأ فأحسن وضوءه ، ثم صلى صلاة، غير ساه ولا لاه ، كفر عنه ما كان قبلها من سيئة » .

(1) النجوم الزاهرة . ج ١ ص ١٢٧ .

وكذلك لا ننسى أن الرسول قد حدثه بحديثه الرائع الدال على تعظيم الله للشاب الطائع المستقيم ، وفيه يقول كما عرفنا : « عجب ربك من شاب ليست له صبوة » فاستقام على الطريق .

وفى سنة ثمان وخمسين من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام لقى عقبة ربه شهيدا مجيدا ودفن فى ثرى مصر الطيب ، ويقول عنه المؤرخ ابن اياس « مات شهيدا ، ودفن بالقرافة الصغرى» والى جوار ضريحه مسجد يسمى « مسجد عقبة بن عامر » . وهو مسجد يزار .

ويقول القلقشندى وهو يتحدث عن مصر : « وقد روى انه دخلها من الصحابة رضوان الله عليهم مايزيد على مائة رجل ، ودفن بقرافتها جماعة ، منهم فيما ذكره ابن عبد الحكم عن ابن لهيعة خمسة نفر ، وهم عمرو بن العاص ، وعبد الله ابن حذافة ، وأبو بصرة الغفارى ، وعقبة بن عامر الجهنى ، وعبد الله بن الحارث الزبيدى ، وهو آخرهم موتا » (١) .

وينبغى أن نلاحظ أن هناك شخصا اسمه أبو عمرو عقبة بن عامر ، كان يحدث فى خلافة عبد الملك بن مروان ، ومات مقتولا فى النهروان ، وهو من أصحاب على رضى الله عنه . وهذا غير صاحبنا عقبة بن عامر الجهنى الذى مات سنة ثمان وخمسين ، فى خلافة معاوية على الصحيح .

سلاما سلاما على المجاهد القائد الشهيد عقبة بن عامر الجهنى .

---

(١) صبح الاعشى . ج ٣ ص ٢٨١ . ويقول صاحب النجوم الزاهرة عن قبر عقبة : « وليس فى الجبانة قبر صحابى مقطوع به الا قبر عقبة ، فانه زاره الخلف عن السلف » ج ١ ص ١٢٩ .

شهيد من الخليج
الجارود بشر بن عمرو العبدى

لا شك فى أن المؤمن عن ارادة واختيار ، أفضل عند الله وعند الناس ممن آمن عن متـــابعة أو اضطرار ؛ ولا شك أن من استجاب عن يقين واعتقاد ، خير ممن استجاب تطلعا الى الجاه أو الانتفاع بين العباد .

وشتان بين من دخلوا فى دين الله خالصين مخلصين ، مستعدين لبذل الأموال ، وحمل الأثقال ، والصبر على الاهوال ، ومن دخلوا فيه وهم يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى .

واذا كان عهد النبوة الزكى الطهور ، قد شهد بعض الضعفاء أو المنافقين ، فان أسسه ودعائمه قد نهضت على هامات أبطال من أهل الوفاء والفداء ، اخلصوا لله دينهم، وصدقوا معه عهدهم ، وثبتوا فى مواطن العسرة والشدة ، ومزالق الفتنة والردة ، مع توافر المكانة والمتعة والجاه ، وكثرة المال وسعة الحياة .

وبمثل هذه المعادن الكريمة الثمينة تدوم المبـــادىء السامية ، وتسود المثل العليا ، وتبقى مكارم الاخلاق .

***

وهذا واحد من هؤلاء :

انه الصحابى الجليل : ابو المنذر (١) بشر بن عمرو بن المعلى العبدى ، المشهور بلقب الجارود وهو من منطقة الخليج العربى ، وكان سيد بنى عبس (٢) . وبيته بيت الشرف فيهم (٣) .

وكسب الغنى والجاه فى الجاهلية ، وقد لقبوه بالجارود بعد غارة قام بها على بنى بكر بن وائل ، فظفـــر بهم واستأصلهم ، حتى قال العرب : لقد جردهم ! ..

وقال القائل :

فدسناهم بالخيـــــل من كل جانب
كما جرد الجـــارود بكر بن وائل (٤)

***

ولقد رحل الجارود سنة تسع للهجرة (٥) من اقصى الخليج الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع جمع من قبيلة عبد القيس . وعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام بقدومهم قبل وصولهم ، ففرح بهم ، وقال لأصحابه : « سيطلع من هنا ركب هم خير أهل المشرق » .

ولما دنا الركب ســـارع اليه عمر ، وقال لهم : من القوم ؟ .

فأجابوا : من بنى عبد القيس .

---

(١) وقيل أيضا : أبو غياث ، وقيل : ابو عتاب (انظر الاستيعاب على الاصابة ج ١ ص ٢٥٠) .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ، ج ٥ ص ٢٣٦ .
(٤) الاصابة ج ١ ص ٢١٨ . وقيل غير ذلك فى سبب التسمية . انظر الطبقات لابن سعد ج ٥ ص ٤٠٧ .
(٥) وقيل سنة عشر انظر الاستيعاب على الاصابة ج ١ ص ٢٥١ . وشرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٢٣٧ .

قال : فما أقدمكم هذه البلاد ، التجارة ؟

قالوا : لا .

قال : أما ان النبى صلى الله عليه وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيرا (١) .

وبلغ الركب مجلس النبوة ، فرحب الرسول صلى الله عليه وسلم بهم ، واستبشر لمجيئهم وقال لهم : مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى (٢) » !

وعرض النبى صلوات الله عليه وسلامه على الجارود الاسلام ، وكان نصرانيا .

فذكر الجارود أن له دينا ، فأوضح له خاتم النبيين مافى اعتقاده من خلل ، وانشرح صـــدر الجارود لدعوة الحق ، ولكنه قال يحاور النبى فى صراحة : انى كنت على دين ، وانى تارك دينى لدينك ، أفتضمن لى دينى ؟ .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أنا ضامن لك أن قد هداك الله الى ما هو خير منه .

فعاد الجارود يقول متفهما : ان لى دينا : فلى ان تركت دينى ، ودخلت فى دينك أن لا يعذبنى الله ؟ .

أجاب النبى عليه الصلاة والسلام : نعم .

وهناك انطلق الجارود بلا تردد يعلن اسلامه .

فسر النبى ، وفرح به ، وقربه منه ، وأدناه وأكرمه (٣) .

وكأن القدر أراد أن يعجل للجارود بالدرس الأول فى الاختبار والابتلاء ، اذ لم يجد دواب له ولا لقومه تحملهم الى ديارهم ، فسأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يعطيه

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٣) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٠٨ وتاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٣٦ . والاغانى ج ١٥ ص ٢٥٦ . والاصابة ج ١ ص ٢١٨ .

ما يركبونه ، فاعتذر اليه النبي قائلا : ما عندى ما أحملك عليه .

فقال الجارود : يا رسول الله ، ان بينى وبين بلادى ضوال ، أفأركبها ؟ .

فأجابه الرسول فى صرامة قائلا : انما هى حرق النار فلا تقربها ، واياك واياها (١) .

ولم يضق الجارود بذلك ، بل ودع رسول الله شاكرا ، وعاد الى بلاده صابرا ، ودعا الى الله هاديا ، وقام بتعاليم الاسلام مخلصا ، على الرغم من بعد الشقة بينه وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ، حتى يقول ابن حجر : « كان الجارود حسن الاسلام صلبا فى دينه » (٢) .

ويقول ابن عبد البر : « كان الجارود فاضلا صلبا فى ذات الله » (٣) .

وكان يردد أبياتا تدل على ثباته ويقينه يقول فيها :

شهدت بأن الله حق ، وسامحت
بنات فؤادى بالشهادة والنهض
فأبلغ رسول الله عنى رسالة
بأنى حنيف حيث كنت من الأرض
فان لم تكن دارى بيثرب فيكم
فانى لكم عند الاقامة والخفض
وأجعل نفسى دون كل ملمة
لكم جنة ، من دون عرضكم عرضى (٤)

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٣٠١ ، وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٤٠٨ .
وحرق بفتح الحاء والراء .
(٢) الاصابة ج ١ ص ٢١٨ .
(٣) الدرر لابن عبد البر ص ٢٧١ .
(٤) الاصابة ج ١ ص ٢١٨ .

وتنقل الجارود ـ فى الاقامة ـ بين البحرين والبصرة . وهو قائم بأمر ربه ودينه ، مجـــاهد فى سبيل الحق . لا يشغله عن الله تعالى اتساع المال ، ولا علو الجاه ، ولا متاع الحياة ، حتى لحق الرسول عليه الصلاة والسلام بربه عز وجـــل ، ونجمت فتنة الردة عقب ذلك ، فكانت ابتلاء عصيبا للمجتمع الاسلامى الوليد .

وحينما رأى الجارود بعض من حوله قد ارتدوا أنكر ذلك عليهم ، ووقف بينهم فتشهد شهادة الحق ، ودعا الى الاسلام ، فقال فيما قال :

« أيها الناس

انى أشهد ألا لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، واكفر من لم يشهد .

وقال :

رضـــينا بدين الله فى كـل حادث
وبالله والرحمن نرضى به ربا

ويروى انه قال أيضا : « أيها الناس ، ان كان محمد قد مات ، فان الله حى لا يموت ، فاستمسكوا بدينكم ، ومن ذهب له فى الفتنة دينار أو درهم أو بقرة أو شاة ، فعلى مثلاه » (1) .

ورواية تاريخ الطبرى فى هذا المجال أوفى وأوسع ، قال عن الجارود :

فلما قدم على قومه دعاهم الى الاسلام فأجابوا كلهم ، فلم يلبث الا يسيرا حتى مات النبى صـــلى الله عليه وسلم .

فقالت عبد القيس : لو كان محمـــد نبيا لما مات . وارتدوا .

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ٥ ص ٣٣٨ .

وبلغــــه ذلك فبعث فيهم فجمعهم ، ثم قام فخطبهم فقال :

يا معشر عبد القيس : انى سائلكم عن أمر فأخبرونى به ان علمتموه ، ولا تجيبونى ان لم تعلموه .

قالوا : سل عما بدا لك .

قال : أتعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى ؟ .

قالوا : نعم .

قال : اتعلمونه أم ترونه ؟ .

قالوا : لا بل نعلمه .

قال : فما فعلوا ؟ .

قالوا : ماتوا .

قال : فان محمدا صلى الله عليه وسلم مات كما ماتوا . وانا أشهد ان لا اله الا الله ، وان محمداً عبده ورسوله .
قالوا : ونحن نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، وأنت سيدنا وأفضلنا .

وثبتوا على اسلامهم » (١) .

***

وعلى الرغم من قصر المدة التى قضاها الجارود مع سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه فانه قد روى عنه احاديث منها قوله : « ضالة المؤمن حرق النار » (٢) .

وقد روى عن كثيرين ، وروى عنه كثيرون من الصحابة وكبارالتابعين (٣) . وكأنه أراد أن يزين جاهه وغناه بزينة العلم والفقه والرواية ، ليزداد خيرا ، فالرسول صلى الله

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٣٠٢ .

(٢) الاستيعاب على الاصابة ج ١ ص ٢٥٢ . وشرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٣٣٧ .

(٣) الاستيعاب ج ١ ص ٢٥٢ .

عليه وسلم يقـــــول : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » .

وكان فوق هذا وذاك لا يخاف في الله لومة لائم ، وكان يطالب بالحق ، ويجهر بكلمة الصدق ، ويراجع عمر بن الخطاب بصراحة وصرامة ، ولذلك اعجب به عمر وقال عنه : « لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان هذا الأمر (يعنى الخلافة) لا يكون الا فى قريش ، لمـا عدلت بالخـلافة عن الجارود بن بشر بن المعلى ، ولا تخالجنى فى ذلك الامور » (١) .

ويشاء الحكيم العليم أن يختم لعبده الجارود بخـاتمة المخلصين الموقنين ، فاذا هو فى السنة الحادية والعشرين للهجرة يقود جيشا من جيوش الاسلام الى فارس فى عهد عمر . وهناك وفى موطن يقال له : « عقبة الطين » ظل الجارود يناضل ويقاتل ، حتى نال نعمة الشهادة والموت فى سبيل الله (٢) غريبا بعيدا عن دياره .

ومنذ ذلك اليوم العظيم صارت هـــذه العقبة تسمى « عقبة الجارود » تخليدا لذكرى البطل المؤمن الذى ذهب فى سبيل ربه شهيدا ، فعطر بذلك سيرة الخليج وسيرة أهل الخليج .

وهناك أقـــوال أخرى فى استشهاده ، قيل انه قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن (٣) . وقيل انه نال الشهادة سنة عشرين (٤) ، وقيل سنة سبع عشرة بمكان يقال له « طاوس » .

رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٢٣٧ .
(٢) الاصابة ج ١ ص ٢١٨ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) المرجع السابق .

المجاهد المعطاء

عدى بن حاتم الطائى

ما أروع القرآن الكريم حين يقول : « كلا ان الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى » ، فان هذا القول يصور ظاهرة انسانية شائعة خلال عصور التاريخ ، فالانسان الجاهل حينما يلم به الضعف فى حسه ونفسه ، او أهله وماله ، يذل ويخشع ، ولكنه حينما تتوافر له القوة فى الجسم ، أو الكثرة فى المال ، أو الاتساع فى المتاع ، يستبد ويطغى ، وينسى الهدى ، ويتبع الهوى ، ولا يزال كذلك سادرا فى غلوائه ، مسرفا فى عناده وكبريائه ، حتى تهب عليه نفحة ارعواء واهتداء ، فتدركه عناية ربه ، فتدير مفتاح شخصيته الى جهة الخير ، فيتدبر ويتذكر ، فاذا البداية من ربه « الذى خلق فسوى » ، واذا النهاية الى ربه كذلك : « ان الى ربك الرجعى » ، واذا هو بين بداية لا يستطيع لها تغييرا ، ونهاية لا يملك فيها تأثيرا ، فتنقشع غشاوة الغرور عن عينه ، ويعود اسراف العناد الى تطامنه ، ويبذل كل ما يستطيع للتكفير عما مضى ، والاستعداد القوى للآخرة والعقبى .

ويصبح نموذجا من نماذج الوفاء والفداء ، بعد أن كان مثلا فى العناد والكبرياء .

ولذلك شهدنا مجموعة من أبناء الاسلام فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام أسرفوا فى عداوة الاسلام ورسوله

وأهله اسرافا شديدا ، ثم استضاءت قلوبهم بنور الاسلام، فناضلوا من أجله نضالا حميدا مجيدا ، مرددين قولهم : الحمد لله الذي هدانا لهـذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

***

وهذا واحد من هؤلاء :

انه الصحابي الجليل ، الفارس الأمير ، الجواد بالمال وبالنضـــال : أبو وهب ـ وأبو طريف ـ عدى بن حاتم الطائى ، المشهور بالجود والشرف ، ولا عجب ، فهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب به المثل فى الكرم والعطاء .

وكان عدي معظما عند قومه وعند غيرهم ، وكان شاعرا مقوالا حاضر الجواب ، ولكنه تأخر عن دخوله فى الاسلام حينا من الزمان ، وكان شديد الكراهية لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، وحينما سمع بأن جيش الاسلام قد دنا من منازل قومه ، ركب فرسه وفر هاربا الى الشام .

ووقعت أخته « سفانة » أسيرة عند المسلمين ، فأكرمها الرسول ، وعاملها معاملة نبيلة ، وحينما رجته أن يعفو عنها ويطلق سراحها ، استجاب لها .

وعادت « سفانة » الى أخيها ، فحثته على الذهاب الى هذا الرسول الكريم .

واستجاب عدى ، وقـدم على النبى صـلى الله عليه وسلم ، فى شهر شعبان من السنة التاسعة (1) فأسـلم وحسن اسـلامه ، وكان من قبل نصرانيا . وأكرم النبى وفادته ، وقال لاصحابه : « اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه »

وقصة اسلام عدى من أروع القصص الدالة على خبرة

(1) يذكر الذهبي فى كتابه « العبر » أن عدى بن حاتم أسلم سنة سبع (ج 1 ، 74) .

النبى بالنفوس ، وحسن علاجه لها ، حتى تعتـــــدل وتستقيم ، وهى مذكورة مبســـــوطة فى كتب السيرة والتاريخ .

جاء فى « تاريخ الطبرى » ان بنت حاتم وضعت بعـد اسرها فى حظيرة بباب المسجد كانت توضع فيها السبايا ، فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافـد ، فامنن على من الله عليك .

قال : ومن وافدك ؟ .

قالت : عدى بن حاتم .

قال : الفار من الله ورسوله .

ومضى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حتى اذا كان الغد مر بها ، فاشار اليها رجل من خلف النبى لتعاود سؤاله ، فأعادت قولها : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن على من الله عليك .

فقال : قد فعلت ، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك به ثقة ، حتى يبلغك الى بلادك ، ثم آذنينى .

وقدم رهط من قومها ، فجاءت الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت : يا رسول الله ، قد قدم رهط من قـومى لى فيهم ثقة وبلاغ .

فكساها رسول الله ، وأهدى اليها ، واعطاها نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

هكذا تحدث الطبرى عن موقف « سفانة » أخت عدى مع الرسول ، والاصفهانى فى الأغانى يرويه هكذا :

حدث الامام على كرم الله وجهه قال :

لما أتينا بسبايا طيء ، كانت فى النساء جارية جميلة —

وهي سفانة بنت حاتم ــ فلما رأيتها أعجبت بها ، فقلت : لأطلبنها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليجعلهـا من فيىء ، فلما تكلمت أنسيت جمـــالها لما سمعت من فصاحتها ، فقالت :

« يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان رأيت أن تخلى عنى ، فلا تشمت بى أحياء العرب ، فانى بنت سيد قومى ، كان أبى يفك العانى (الأسير) ويحمى الذمار، ويقرى الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط : أنا بنت حاتم طيء » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا جارية ، هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك اسلاميا لترحمنا عليه ، خلوا عنها ، فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق » (١) .

ويواصل الطبرى الحديث عما كان من شأن عدى بعد عودة أخيه فيقول :

قال عدى : فوالله انى لقاعد فى أهلى ، اذ نظرت الى ظعينة (٢) تصوب الى (٣) تؤمنا . فقلت : ابنة حاتم ! .

فاذا هى هى . فلما وقفت على انسحلت (٤) تقول : القاطع الظالم ! احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بنية والدك وعورته ! .

قلت : يا أخية ، لا تقولى الا خيرا ، فوالله مالى عذرى، لقد صنعت ما ذكرت .

---

(١) الاغانى ، ج ١٦ ص ٩٣ .
(٢) الظعينة : المرأة فى الهودج .
(٣) تصوب الى : تقصد .
(٤) انسحلت : أخذت فى اللوم ومضت فيه بحدة .

ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها ـ وكانت امرأة حازمة ـ : ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟ (يعنى النبى صلى الله عليه وسلم) .

قالت : أرى والله أن تلحق به سريعا ، فان يكن الرجل نبيا فالسابق اليه له فضيلة ، وان يكن ملكا فلن تذل فى عز اليمن وأنت أنت ! .

قلت : والله ان هذا للرأى .

فخرجت حتى أقدم على رسول الله المدينة : فدخلت عليه وهو فى مسجده ، فسلمت عليه .

فقال : من الرجل ؟

فقلت : عدى بن حاتم .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بى الى بيته ، فوالله انه لعامد بى ، اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها .

فقلت فى نفسي : والله ما هذا بملك .

ثم مضى رسول الله حتي دخل بيته ، فتناول وسادة من ادم (١) محشوة ليفا ، فقذفها الى ، فقال لى : اجلس على هذه .

فقلت : لا ، بل انت ، فاجلس عليها .

قال : لا ، بل أنت .

فجلست وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض .

قلت فى نفسي : والله ما هذا بأمر ملك .

ثم قال : ايه ياعدى بن حاتم ! ألم تك ركوسيا ؟ (٢) .

قلت : بلى .

---

(١) أدم : جلد .

(٢) الركوسية : قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين .

قال : ألم تكن تسير في قومك بالمرباع (١) ؟ .
قال : بلى .
قال : فان ذلك لم يكن يحل لك في دينك .
قلت : أجل والله .
وعرفت انه نبى مرسل يعلم ما يجهل .

ثم قال : لعلك ياعدى بن حاتم ، انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ماترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال يفيض فيهم ، حتى لا يوجد من يأخذه .

ولعلك انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ماترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها ، حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف الا الله .

ولعله انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم . وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت .

قال عدى : فاسلمت .

فكان عدى يقول : مضت الثنتان ، وبقيت الثالثة : والله لتكونن . قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئا ، حتى تحج هذا البيت ، وايم الله لتكونن الثالثة : ليفضن المال حتى لا يوجد من يأخذه (٢) .

ولم يقتصر اسلام عدى على هداية نفسه ، بل كان السبب في هداية قومه ، ولذلك يقول التاريخ عن عدى :

---

(١) تسير بالمرباع : أى تأخذ الربع من غنائم قومك ، لانك رئيسهم.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١١٣ . وانظر الروض الانف ج ٢ ص ٣٤٣ . والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٢٣ .

انه كان خير مولود فى أرض ، وأعظمه بركة عليهم (١) .

***

وأخذ عدى بن حاتم يجـــاهد فى سبيل الله بالمال والسلاح ، وسكن الكوفة فى العراق، ثم سكن بلدة قرقيسيا بالعراق أيضا (٢) .

وبعد وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وامتناع بعض الناس عن دفع الزكاة ، جمـع عدى زكاة قـومه ، واقبل بها على الخليفة ، وأكد له ثباته وثباتهم على الصراط المستقيم .

وفى عهد عمر اشترك عدى فى فتوح العراق ، فحضر معركة القادسية ، وكان أمير قومه فيها (٣) .

وحضر معركة مهران ، ومعركة الجسر ، ومعـركة النخيلة ، ومعركة المدائن ، ومعركة جلولاء الوقيعة ، ومعركة نهاوند ، ومعركة تستر ، وغيرها .

وكان مع خالد بن الوليد حين سار الى الجهاد فى الشام ، وشهد معه طائفة من الفتوح ، كما شهد عدى معارك الجمل ، وصفين ، والنهروان ، مع الامام على رضى الله عنه ، وفقئت عينه يوم صفين (٤) .

***

وكان عدى بن حاتم يحب الامام عليا ويجله ويدعو

---

(١) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٢٥٤ .

(٢) قرقيسياء : وتستعمل كثيرا مقصورة (قرقيسيا) بلد على نهر الخابور ، وعندها مصب نهر الخابور فى نهر الفرات ، وقد فتحها باسم الاسلام حبيب بن مسلمة الفهرى فى السنة التاسعة عشرة ، وجهه لفتحها عياض بن غنم فاتح الجزيرة (معجم البلدان ج ٤ ص ٣٢٨) .

(٣) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٤٨٦ .

(٤) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٥٢١ .

اليه ، ومن ذلك أن عديا وقف يخطب بين يدى الامام ، والناس من حوله ، فقال :

« أيها الناس ؛ انه والله لو غيره دعانا الى قتال أهل الصلاة ما أجبناه ، ولا وقع بأمر قط الا ومعه من الله برهان ، وفى يديه من الله سبب ، وانه وقف عن عثمان بشبهة ، وقاتل أهل الجمل على النكث ، وأهل الشام على البغى ، فانظروا فى أموركم وأمره ، فان كان له عليكم فضل فليس لكم مثله ، فسلموا له ، والا فنازعوا عليه .

والله لئن كان الى العلم بالكتاب والسنة انه لأعلم الناس بهما . ولئن كان الى الاسلام انه لاخو نبى الله ، والرأس فى الاسلام . ولئن كان الى الزهد والعبادة ، انه لاظهر الناس زهدا ، وأنهكهم عبادة . ولئن كان الى العقول والنحائز (١) انه لأشد الناس عقلا ، وأكرمهم نحيزة ، ولئن كان الى الشرف والنجدة ، انه لأعظم الناس شرفا ونجدة ، ولئن الى الرضا لقد رضى عنه المهاجرون والأنصار فى شورى عمر رضى الله عنهم ، وبايعوه بعد عثمان ، ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشام ، فما الفضل الذى قربكم الى الهدى ، وما النقص الذى قربه الى الضلال ؟ .

والله لو اجتمعتم جميعا على أمر واحد ، لأتاح الله له من يقاتل لأمر ماض وكتاب سابق (٢) » .

***

ولقد استنفر عدى قومه ذات يوم للجهاد ، فكان مما ذكره لهم قوله :

« قد كنتم تقاتلون فى الجاهلية على الدنيا ، فقاتلوا

---

(١) النحائز : جمع نحيزة ، وهى الطبيعة .
(٢) جمهرة خطب العرب ، ج ١ ص ٢٠٢ .

فى الاسلام على الآخرة ، وأنا أدعوكم الى الدنيا والآخرة ، فأجيبوا قولى ، فانكم أعز العـــرب دارا ، ولكم فضل معاشكم وخيلكم ، فاجعلوا فضل المعاش للعيال ، وفضل الخيل للجهاد » .

ولم يكن عدى بن حاتم يدعو قومه الى الجهاد ويترك أسرته ، فلقد كان ابنه مثلا يجاهد الى جواره ، واستشهد ذلك الابن فى احدى المعارك الى جوار أبيه ، فلم يجزع لذلك عـــدى ولم يحزن ، بل تولى دفن ابنه صـــابرا محتسبا ، وهو يقول مخاطبا ولده الشهيد :

« الحمــد لله الذى ابتـــلانى بيومك على حاجتى اليك » (١) .

وكان كبار المسلمين يعرفون لعدى صحة اسلامه وقوة ايمانه ، وممـــا يؤيد ذلك انه جاء الى عمر فى أناس من قومه ، فجعل عمر يعطى هذا وذاك وذلك ، ويعرض عن عدى فلا يعطيه شيئا .

فقال عدى : يا أمير المؤمنين . الا تعرفنى ؟! .

فضحك عمر وقـــال : والله انى لأعرفك ، آمنت اذ كفروا ، واقبلت اذ أدبروا ، ووفيت اذ غدروا ، وعرفت اذ أنكروا ، وان أول صدقة بيضت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجوه أصحابه ، صدقة طيىء ، جئت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر عمر لعدى أنه أعطى هؤلاء لاعانتهم وتطلعهم .

فاستراح عدى وفرح ، وقال : فلا أبالى اذن .

***

ومع هذا الجهاد الموصول ، والنضال المستمر ، كان

---

(١) تاريخ الطبرى . ج ٥ ص ٨٨ .

عدى بن حاتم رجلا متعبدا محافظا على الصلاة . حتى قال : « ما دخل على وقت صـــلاة الا وأنا مشـتاق اليها » (١) .

وهذا يذكرنا بقول الرسول الأكرم : « جعلت قرة عينى فى الصلاة » .

كما كان راوية للحـــديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، روى عشرات الأحاديث .

وتلقى عنه الرواية كثيرون من الأكابر ، من أمثال قيس ابن حازم ، وســعيد بن جبير ، والشعبى ، وهمام بن الحارث ، وغيرهم .

وهكذا كان عدى بن حاتم الطائى يجمع بين الايمـــان العميق ، والعمل الصالح ، والجهـــاد الدائب ، والعلم الواسع ، والعبادة المخلصة .

وظل كذلك حتى بلغ عمره مائة وعشرين عاما ، مضى بعدها كريما الى ربه الذى لا يضيع اجر من احسن عملا، رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

روى النووى فى « تهذيب الأسماء » أن عدى بن حاتم مات بالكوفة سنة ثمان وستين ، وقيل سنة تسع وستين بعد أن عاش أكثر من مائة سنة (٢) .

ومن الغريب أن الذهبى فى الجزء الاول من كتـــابه « العبر » ذكر أولا أن عدم بن حاتم قتل فى موقعـــة صفين سنة سبع وثلاثين (٣) .

ثم رجع بعد صفحات فقال انه توفى سنة سبع وستين.

---

(١) تهذيب الاسماء ، ج ١ ص ٣٢٧ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) العبر ، ج ١ ص ٤١ .

أو سنة ثمـــــــان وستين ، عن مائة وعشرين ســــنة بقرقيسيا (١) .

***

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام .

يقول رائدكم الاول وقائدكم الاكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيركم من طال عمره ، وحسن عمله ، وشركم من طال عمره وساء عمله » .

فليتنا نتبصر خطواتنا فى حياتنا ، ومواقفنا من دنيانا، فان كنا على حق ازددنا منه ، ودمنا عليه ، وان كنا على باطل بادرنا بتركه والتحرز منه ، وبذلك تصبح الحياة نعمة لا نقمة ، وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعا الى سواء السبيل .

---

(١) تهذيب الاسماء ، ج ١ ص ٣٢٧ .

الشهيد الزاهد
زهير بن قيس البلوي

ان التاريخ الصادق يحدثنا بأن أبناء الاسلام لم يحققوا الأعمال الجليلة التي حققوها الا في ظل الاتحاد ، والاعتصام بحبل الله القوي المتين ، وانهم لم يخسروا ولم يتصدعوا الا في ظلمات الفرقة والشتات ، والقرآن يؤكد هذه الحقيقة الواضحة حين يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم ، اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » ، وحين يقول : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين » .

ولقد كان الوطن الاسلامي في العصور المزهرة يضم الكثير من الأقطار والأقاليم ، ومع ذلك لا تفرقه فواصل ، ولا تمزقه حدود أو حوائل ، بل كان كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وكأنه لو عطس عاطس من ابناء هذا الوطن في أقصى المشرق لشمته آخر في أقصى المغرب قائلا له : يرحمك الله .

وكان الواحد من أبناء الاسلام يولد في جهة من هذا الوطن ، ثم يقيم في جهة ثانية ، ثم يجاهد في جهة ثالثة ،

ثم يلقى الله تعالى فى جهة رابعة ، وهو لا يفرق بين جهة وجهة ، فالكل أرض الله ووطن الاسلام ، والجميع عبـاد الله ، تحصنهم عقيدة التوحيد ، ويقويهم توحيد الكلمة .

***

وهذا مثلا هو الصحابى المناضل : أبو شداد زهير بن قيس البلوى اليمنى المصرى الليبى ، رضوان الله تبارك وتعالى عليه : انه من قبيلة « بلى » وهى قبيلة من قضاعة، وقضاعة من اليمن ، فهو اذن يمنى الأصل ، ثم أقام فى الحجاز زمنا حين أسلم ، وصاحب رسول الله ، فصار حجازيا أو مدينيا ، ثم اشترك فى فتح مصر باسم الاسلام، وأقام فى مصر ، فصار مصريا ، ثم جاهد فى ليبيا ، ونال الشهادة ، على أرضها ، وضمه ثراها ، فصار ليبيا ، وهو مع هذا كله عربى مسلم ، راس ماله الأول كلمة : لا له الا الله ، محمد رسول الله . ومع ان زهيرا كان احد الصحابة ، روى عن بعض التابعين ، فقد روى عن علقة بن رمشة .

ولقد كان زهير بن قيس البلوى من قـادة الاسـلام الشجعان ، وكان يمثل صورة المجاهد أو المرابط الذى لم تكن له غاية سوى اعلاء كلمة الدين ، ولا عجب فهو ابن الاسلام والايمان ، وهو خليفة عقبة بن نافع فاتح شمال افريقية ، الذى وقف على شاطىء المحيط فوق جواده ، وقال يناجى ربه : يارب السماء والارض ، وحقـك ، انى لو أعلم وراء هذا المحيط أرضا يابسة ، لخضت اليها هذا الماء ، حتى أرفع اسمك العظيم فى أقصى بقـــاع الأرض .

وبعد أن زامل زهير عقبة عدة سنوات فى الجهـاد ، ظل زهير بعد استشهاد عقبة نحو ثلاثة عشر عاما يجاهد

ويناضل ، لا تغره دنيا . ولا ينال منه ترف أو رفاهية ، بل ظل عابدا زاهدا .

ومتى زهد الانسان فى متاع الحيــــاة ، أصبح ربانيا موصول الأسباب بواهب القوى والقدر .

ويقول التاريخ : وحينما اشتد هجــــوم الروم على ليبيا ، اجتمع المسلمون الى مروان بن الحكم ــ سنة خمس وستين ــ وكان أميرا على الشام ، وسألوه أن يبعث جيشا الى شمال افريقية ، لتخليص المسلمين من سلطان الأعداء ، وأن يعز فيها الاسلام ، كما كان فى عهد البطل عقبة بن نافع .

فقال مروان : ومن للأمر مثل عقبة ؟

فأجمعوا على اختيار زهير بن قيس البلوى ، وكان من رؤساء العابدين ، وأشراف المجاهدين . فاستجاب زهير ، وسارع الى الجهاد ، وأرسلت اليه امدادات ضخمة من مصر (١) . وكانت لزهير مع الروم أعداء الاسلام مواقع ومعارك ، وخاصة بعد أن صار أميرا على « برقة » سنة تسع وستين ، وفى هذه السنة هاجم زهير جموع الروم المحتلين ، وانتصر عليهم ، وسقط قــائدهم « كسيلة » صريعا .

وحينما شاهد زهير ما فى البلاد من رفاهية أعرض عن ذلك كله وقال : « انما قدمت للجهاد ، ولم أقدم لحب الدنيا » .

ومضى يجاهد حتى بلغ القيروان ، وأقام فيها مدة ، وانتهز الروم فرصة غيابه عن برقة ، فأوسلوا اليها حملة بحرية ضخمة من صقلية ، وأعملوا فيها أيدى الفساد ، فسارع اليهم زهير ، مع نفر قليل من أصحابه ، وفى برقة

(١) رياض النفوس ج ١ ص ٢٩ .

ناضل زهير نضال الأبطال ، وتكاثر عليه الاعداء من كل جانب ، وهو يرفض الاستسلام ، برغم شراسة القتال .

وظل هكذا حتى ذاق نعمة الشهادة مع بقية زملائه ، لم ينج منهم سوى رجل واحد ، وكأن القدر قد أبقى هذا الرجل ليروى للأجيال ما كان لهؤلاء المؤمنين المناضلين من رجولة وبطولة ، ولا عجب فهم يؤمنون بقول الحق جل جلاله : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ، هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ، فتربصوا انا معكم متربصون»

وكان استشهاد زهير بن قيس البلوى سنة ست وسبعين للهجرة ، ودفن فى مدينة « درنة » بليبيا . ويقول ياقوت عن « درنة » فى « معجم البلدان » : قتل فيها زهير بن قيس البلوى ، وجماعة من المسلمين ، وقبورهم معروفة (١) .

ولقد وقفت أمام قبره فى رمضان سنة ١٣٩١ متذكرا معتبرا ، وشاهدت من حوله قبور جماعة من شهداء الصحابة الذين صدقوا وعدهم مع الله عز وجل ، فانساحوا فى الأرض ، ينشرون الهدى والنور ، ويرفعون لواء الحق ، ويرددون شعار العدل ، فظلت ذكراهم على الدوام نفحا طيبا ، يشهد بأن لله تعالى عبادا اذا أرادوا أراد ، لأنهم لا يريدون الا ما فيه رضاه ، ولا يستضيئون بغير نوره وهداه : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

ويقول ابن كثير فى « البداية والنهاية » عن شهادة زهير :

---

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٥٢ .

قتله الروم ببرقة ، وذلك أن الصريخ أتى الحاكم بمصر ـ وهو عبد العزيز بن مروان ـ أن الروم نزلوا ببرقة ، فأمره بالنهوض اليهم ، فساق زهير ، ومعه أربعون نفسا، فوجد الروم ، فأراد أن يكف عن القتال ، حتى يلحقه العسكر ، فقالوا : يا أبا شداد ، احمل بنا عليهم . فحملوا فقتلوا جميعا (١) .

***

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام .

يقول قائدكم ورائدكم ورسولكم : « من سره أن يكون أعز الناس فليتق الله ، ومن أراد أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده » ، فهل آن لامة محمد صلى الله علعيه وسلم أن تعود الى هديه ، ليعزها الله بعزه : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

---

(١) البداية والنهاية ج ٩ ص ١٧ .

المجاهد المخلص

قيس بن المكشوح المرادى *

انما عز الاسلام وانتصر فى أول أمره لوجود المنهج السليم القويم ، الذى جاء به القرآن الكريم ، ولوجود القائد الحكيم الأمين الذى تمثل فى الرسول العظيم عليه الصلاة والتسليم ، ولاخلاص الصفوة التى استجابت له وسارت معه من الصحابة الأكرمين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، ولرغبة هؤلاء فيما عند الله أكثر من حرصهم على ما بين أيديهم من زخرف الدنيا ومتاع الحياة ، ولاجتماع هؤلاء على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، فلم تفرقهم الأهواء ، ولم تمزقهم الشهوات ، بل أخلصوا دينهم لله ، وصدقوا حبهم لرسول الله، وباعوا أنفسهم فى سبيل الله ، واتخذوا شعارهم قول الله جل جلاله ، « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

واذا كنا قد مررنا فى سنواتنا العجاف بأسوأ مرحلة مرت علينا فى تاريخنا الطويل الجليل ، فانه لا يليق بنا أن

نسأم من أخذ العبرة عن ماضينا وأسلافنا ، فنحن فى ذلك ندرس تاريخا ، ونتعرف طريقا ، ونتفهم صوابا ، ونتجنب خطأ ؛ ونتلمس بابا يفتحه الله علينا بتوفيقه ، لنخرج مما نحن فيه الى ما ينبغى أن نكون عليه : « صبغة الله ؛ ومن أحسن من الله صبغته ، ونحن له عابدون » .

***

وهذا درس من تاريخنا يتمثل لنا فى أحد أسلافنا ، وهو الصحابى الجليل أبو شداد (١) قيس بن هبيرة بن هلال المرادى ، وشهرته قيس بن المكشوح ، لأن أباه هبيرة كوى على كشحه (أى جانبه) ، وقد كان من الشجعان الابطال الشعراء ، وكان سيد قبيلة « بجيلة » وفارسها، وفارس مذحج (٢) ، ولا عجب فهو ينتمى الى أصول كريمة عظيمة ، فهو ابن أخت البطـــل المغوار الصحابى العالم عمرو بن معد يكرب (٣) ، صاحب الغارات والغزوات المشهورة ، والذى كان يقال له « فارس العرب جميعا » .

وقد نال عمرو الشهادة عطشا يوم القادسية .

وكان قيس بن المكشوح أحد شجعان الاسلام وأبطال المسلمين ، ومن أهل النجدة والنخوة فيهم .

وكانت له آثار صالحات فى الفتوحات ، فى زمن عمر وعثمان فى القادسية وغيرها (٤) ، وسار الى العراق على مقدمة الجيش الذى قاده سعد بن أبي وقاص رضـــوان الله عليه ، واشترك فى فتح نهاوند سنة عشرين (٥) .

---

(١) وقيل أيضا : أبو حسان (العبر ج ١ ص ٢٣٩) .
(٢) الطبقات لابن سعد ج ٥ ص ٣٨٣ .
(٣) تهذيب الاسماء ج ٢ ص ٦٤ .
(٤) تهذيب الاسماء ج ٢ ص ٦٤ .
(٥) أو ١٩ أو ٢١ .

وكان شعاره الاخلاص فى العمل لوجه الله تعالى ، حتى قال جابر بن عبد الله : « والله الذى لا اله الا هو ، ما أطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة ، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر ، فما رأينا كالذى هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم : طليحة بن خويلد ، وعمرو بن معد يكرب ، وقيس بن المكشوح » (١) .

وكان قيس يدرك تمام الادراك أن وحدة المجاهدين هى مفتاح النصر ، فاذا قامت الوحدة على الايمان وصدق الجهاد حتى النصر أو الاستشهاد فقد تحقق الوعد وتم المراد .

ولذلك نسمع قيس بن المكشوح يقول لرفاقه فى الجهاد، وهم متجهون الى فتح فارس : « يا معشر العرب ، ان الله قد من عليكم بالاسلام، وأكرمكم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، دعوتكم واحدة ، وأمركم واحد ، بعد اذ أنتم يعدو بعضكم على بعض عدو الأسد ، ويختطف بعضكم بعضا اختطاف الذئاب ، فانصروا الله ينصركم ، وتنجزوا من الله فتح فارس ، فان اخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام » (٢) .

واستجاب الله جل جلاله لكتائب الاسلام المخلصة الموحدة ، ففتحت فارس ، وحملت جواهر كسرى التى لا مثيل لها الى الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فحينما رآها قال : « ان الذين أدوا هذا لأمناء » .

وكان على رضى الله عنه حاضرا ، فقال لعمر :

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ١٩ .
(٢) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٥٥٤ .

« يا أمير المؤمنين ، ان القوم رأوك عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا » .

***

وانتقل قيس بن المكشوح الى ميدان جهاد آخر ، فذهب الى اليمن ليقضي على فتنة المتنبىء الكذاب الأسود العنسى ، الذى كان يقال له « عبهلة ذو الخمار » (١) .

واستطاع قيس أن يقتل هذا الكذاب اللعين ، واشترك معه فى ذلك الصحابى الصالح فيروز الديلمى ، الذى أثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

وظل المجاهد الجليل قيس بن المكشوح يتنقل من ميدان الى ميدان ، ومن اتقان الى اتقان ، ومن احسان الى احسان ، حتى اقبلت سنة سبع وثلاثين للهجرة ، وفى شهر صفر من هذه السنة كانت وقعة صفين المشهورة ، فخرج اليها قيس بن المكشوح ليجاهد فيها تحت لواء الامام الغالب على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ويروى أن قبيلة « بجيلة » وهى قبيلة قيس قالت له : خذ رايتنا .

فقال متواضعا : غيرى خير لكم منى .

فقالوا جميعا : ما نريد غيرك .

فقال مصمما : والله لئن أعطيتمونيها لا أنتهى بكم دون صاحب الترس المذهب (يقصد زعيم الأعداء) .

فقالوا جميعا : اصنع ما شئت .

وحمل البطل الراية ، وزحف المجاهد المخلص نحو أعدائه ، وقاتل قتالا شديدا ، غير مبق على الحياة أو طامع

---

(١) الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٣٨٣ .

(٢) الطبقات لابن سعد ـ ٥ ص ٣٨٩ . والعبر ج ١ ص ٢٩ .

فى متاعها ، واختار الله له خير الحسنيين ، فتكاثر عليه اعداؤه ، فقتلوه ، وسقط البطل فى ساحة الجهاد شهيدا مجيدا ، وسارع عبد الله بن قلع الاحمسى فتناول الراية، من يد الشهيد المجيد ، ورفعها ليواصل الرسالة ، وهو يقول من قيس الشهيد :

لا يبعد الله أبا شداد
حيث أجاب دعوة المنادى
وشد بالسيف على الأعادى
نعم الفتى كان لدى الطراد
وفى طعان الخيل والجلاد (١)

***

يا اتباع محمدعليه الصلاة والسلام، هذا هوالطريق ، وهذه هى أسباب التوفيق . نريد خطة راشدة ماجدة ، ناخذها من كتاب الله خير الكتب ، ونريد قادة يستهدون على الدوام بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قائد ، ونريد شعبا يتحقق له معنى الايمان بالله ، ونريد مجاهدين يخلصون النضال لوجه الله ، ويؤثرون ما عند الله على ما عند الناس ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم .

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص٢٥ ووقعة صفين ص٢٦٢ ، وانظر تهذيب الاسماء ج ٢ ص ٦٤ .

المجاهد بقية أهل بدر
جابر بن عتيك الأنصاري

يقول الله تبارك وتعالى : « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » ، والذكرى من الذكر ، والذكر الحميد زينة المؤمنين ، والذكريات الطيبة عطر الصالحين ؛ والقائل الحكيم يقول :

دقات قلب المرء قائلة له
ان الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها
فالذكر للانسان عمر ثان

وما أجمل الذكريات الجليلة النبيلة ، حين يستعيدها الانسان القويم ، فيجد فيها السلوى والعزاء : ويحس معها بالنشوة والرضا .

واذا كان هناك من المجرمين والفاسقين من يحلو له ان يجتر ذكريات اللهو والعبث ، أو ذكريات الفجور والشرور ؛ فيستعيد مثلا ذكرى غرام متحلل ، أو عربدة ماجنة ؛ أو انحراف شائن ؛ فان عادة أهل التقوى والايمان أن يستعيدوا الذكريات الحميدة المجيدة التى كانوا فيها أهل وفاء ، وجنود فداء ، ليحمدوا الله على ما وفقهم اليه ، وليزدادوا أذكارا واعتبارا : « فذكر ان نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى ،

ويتجنبها الاشقى ، الذى يصلى النار الكبرى ، ثم
ولقد كان المسلمون فى صدر الاسلام يتذكرون
لا يموت فيها ولا يحيى » .
لانفسهم ولاخوانهم فى الله تبارك وتعالى «مواقف الوفاء» ومواطن الفداء ، التى شهدوها واسهموا فيها ، بتوفيق من الله وتأييده .

فهذا مثلا من الاوائل السابقين فى الاسلام ، وهذا ممن حضروا بيعة العقبة ، وهذا ممن شهدوا غزوة بدر ، وهذا ممن ثبتوا فى غزوة أحد ، وهذا ممن بايعوا بيعة الرضوان ، وهذا ممن ثبتوا للجوع والبرد والخوف والهول يوم الاحزاب ، وهكذا : «ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

وهذا صحابى جليل ، ومناضل نبيل ، يذكرنا بأروع الذكريات فى تاريخ الجهاد الصابر المؤمن ، الذى أعز الله به كلمة الصدق ، ورفع به صوت الحق : «والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

انه أبو عبد الله (١) جابر (٢) بن عتيك بن قيس بن الاسود بن مرة الانصارى السلمى المدنى ، أحد بنى عمرو بن عوف ، وهو من كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وأمه هى جميلة بنت زيد بن صيفى ابن عمرو الانصارية ، أسلمت وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٣٧ و ج

---

(١) وقيل أبو الربيع ، ولكن ابن الاثير ، يقول : ان هذا وهم . أنظر أسد الغابة ج ١ ص ٣٠٧ .

(٢) بعض المصادر تسمسه باسم « جابر » وبعضها تسمبه باسم « جبر » ولكن التحريف كان السبب ، أو لعلهم كانوا ينادونه بالاسمين . والعجيب ان بعض مصادر ترجمت له بالاسمين معا . أنظر التحفة اللطيفة للسخاوى . ج ١ ص ٣٩٥ وص ٣٩٨ ، وأنظر أسد الغابة لابن الاثير ج ١ ص ٣٠٧ وص ٣١٦ .

٨ ص ٢٤٠) .. وهو أيضا أخو بشر بن عتيك الصحابى (التحفة ج ١ ص ٣٩٨) .

ولقد كان من سابقى الانصار الى الاسلام ، وحين تمت الهجرة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين جابر وخباب بن الارت (١) والاشباه تلاقى الاشباه ، والنسور تقع على النسور ، فخبّاب بن الارت كما نعلم ـ أو كما ينبغى أن نعلم ـ هو المجاهد الصابر المحتسب ، والمناضل المخلص المعذب فى سبيل الله ، الذى كان يقال له : « سدس الاسلام » لانه سادس من أسلم ، وأذاقه المشركون الوانا من العذاب ، وهاجر وصابر وشارك فى الجهاد والنضال ، وكان يردد :

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

ولما لحق خباب بربه قال فيه الامام على ، رضى الله عنه وكرم وجهه : « يرحم الله خباب بن الارت ، فلقد أسلم راغبا ، وهاجر طائعا ، وقنع بالكفاف (القليل)، ورضى عن الله ، وعاش مجاهدا ، وابتلى فى جسمه أحوالا » (٢) .

***

ولنعد الى بطلنا جابر بن عتيك ، لنراه يشهد غزوات بدر وأحد والخندق ، والمشاهد كلها ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حامل راية الأنصار يوم فتح مكة ، وعبر عن ذلك بعض المصادر فقال : كانت معه راية بنى معاوية بن مالك فى غزوة الفتح .

---

(١) الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٣٨٠ .
(٢) أنظر تفاصيل بطولته فى كتابى : (فدائيون فى تاريخ الاسلام) ص ٢٣٧ ـ ٢٤٢ .

وقد روى جابر الحديث ، وكان له من الأولاد عتيك وعبد الله وأم ثابت وأمهم هى هضبة بنت عمرو بن مالك ابن سبيع .

ولقد امتد عمر جابر بن عتيك ، حتى جاوز السبعين ، وقيل انه جاوز التسعين ، وجاهد ماجاهد ، وناضل ما ناضل ، واكتسب من الذكريات الحميدة ما اكتسب ، ومع ذلك لازم سكنى المدينة طيلة حياته ، واستمر مقيما بها الى حين وفاته ، وكأنه كان يرى سكناها أفضل من السكنى فى أى مكان آخر من البلاد التى دخلها الاسلام أو فتحها المسلمون .

ولا عجب فى ذلك ولا غرابة ، فالمدينة فى الاسلام هى دار الهجرة ، ودار الايمان ، ودار الفتح ، ودار الاخيار ، ودار الأبرار ، وفيها استقر جدث سيد الانام محمد عليه الصلاة والسلام ، وهي البلدة التى أعطاها الرسول حرمة ومكانة ، فقال : « انى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة » وقال : « المدينة تنفى الناس (أى شرارهم) كما ينفى الكير خبث الحديد » . وقال « المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع (أى يصفو) طيبها » وقال : « ان الايمان ليأرز (أى يجتمع) الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » وقال عنها : « من أحدث فيها أو آوى فيها محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » وقال : « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » .

وعمر الفاروق كان يدعو ربه فيقول : « اللهم اجعل موتى فى بلد رسولك عليه الصلاة والسلام » .

وهكذا عاش جابر فى المدينة المنورة يعمل للاسلام ويعتز بالاسلام ، يستعيد فيها الذكريات الجليلة الجميلة،

التى مرت عليه وعلى أبناء الاسلام خلال عشرات من السنين وعشرات .

وكانت هناك ذكرى تبدو فى طليعة هذه الذكريات ؛ وهى ذكرى تساير جابرا وتسامره ، وتفاديه وتراوحه : فقد شهد غزوة بدر الكبرى ، أول لقاء فى الاسلام ــ شهدها مع ما يزيد عن ثلاثمائة مجاهد مؤمن ، وها هى ذى الأيام والأعوام تمر على جابر : وهو يفقد رفاق الجهاد وأصدقاء الميدان ، بطلا بعد بطل ، وواحدا بعد الآخر ، وهو باق على قيد الحياة ، حتى لم يبق من هؤلاء أحد ، وبقى آخر مجاهد من أهل بدر ، وهو جابر بن عتيك .

وكأنه كان يستعيد الذكريات ويقول لنفسه : أين زملائى ؟ أين أحبائى ؟ أين الذين شاركتهم شرف الجهاد ، وتطلعت معهم الى نعمة الاستشهاد ؟ أين فلان وفلان وفلان ؟ . لقد رحلوا جميعا الى بارىء الارض والسموات ، فما بقائى فى هذه الدنيا ؟ . ومتى يكون اللقاء ؟ .

وكان جابر بن عتيك آخر أهل بدر موتا ، وحين لحق بربه تذكر الناس أهل بدر الذين قال لهم ربهم تبارك وتعالى : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » . والذين ذكر الرسول عنهم أنهم فئة ان هلكت فلن يوجد فى الارض من يعبد الله ، والذين قال فيهم : « لعل الله أطلع على أهل بدر فقال لهم : « اعملوا ماشئتم فانى قد غفرت لكم » .

***

رضوان الله عز وجل على المجاهد بقية أهل بدر : جابر بن عتيك ، وسلام عليه فى الخالدين .

فدائى من أبطال الهجرة
عبد الله بن أبى بكر الصديق

تمر علينا كل عام ذكرى الهجرة النبوية التى غيرت تاريخ البشرية ، وحولت مسيرة الانسان من اتجاه الى اتجاه ، وكانت فى تاريخ الاسلام بداية القوة والغلبة والنصر ، فتجدد ذكريات عزيزة غالية .

وقد شارك فى هذا العمل العظيم عدد كريم من المؤمنين ، منهم الشيخ الكهل ، والفتى الشاب ، والفتاة المؤمنة .

وقد ارتبطت الهجرة بأكثر من معنى من معانى الوفاء والفداء .

وها نحن أولا نلمح بين صانعيها ، والمشاركين فيها ، وجها من وجود الذين عزموا فأقدموا ، وعاهدوا فصدقوا .

انه وجه المجاهد الشهيد ، أحد الشجعان العقلاء الصحابى ابن الصحابى : عبد الله بن أبى بكر الصديق التيمى القرشى ، رضوان الله عليهما ، وهو الذى أسلم قديما ، وجاهد طويلا ، ومضى الى ربه شهيدا .

وامه هى قتيلة بنت عبد العزى ، تزوجها أبو بكر قبل ظهور الاسلام ، وولدت له عبد الله وأسماء (١) ، ومن هذا

---

(١) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٤٢٥ ، وقد ولدت له زوجته أم رومان : عائشة ، وعبدالرحمن ، وقد تزوج أم رومان قبل الاسلام أيضا (المرجع السابق ص ٤٢٦) .

نفهم بيسر أن عبد الله بن أبى بكر هو شـــــقيق البطلة الفدائية العظيمة أسماء بنت أبى بكر ، ذات النطاقين ، والدة البطل الشهيد عبد الله بن الزبير ، الذى قالت له محرضة على الجهاد حتى الاستشهاد ، دون مبالاة بتمثيل أعدائه به بعد موته : « يابنى ان الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها » (١) .

ولذلك تقول أكثر المراجع الاسلامية عن عبد الله انه « شقيق أسماء » (٢) .

وهكذا يشرف التاريخ عبد الله ، ويعطر سيرته ، بأنه شقيق أسماء التى خلدت على الايام بجهادها وبطولتها .

ومن صنع الله العجيب فى تاريخ الاسلام انه رفع مكانة فريق من النســـــاء حتى صارت النسبة اليهن مفخرة الرجال :

ولو كان النســـــاء كمثـــل هـــذى
لفضــــــلت النســـاء على الرجال

***

ولقـــد كان نصيب عبد الله بن أبى بكر من واجبات الهجرة ان يقوم بمهمة الاستطلاع لأخبار المشركين وجمعها، وتعرف « رد الفعل » عندهم لاختفاء الرسول ، وخروجه سرا دون أن يعلم منهم أحد أين اتجه ، وتتبع تحركات المشركين وتدبيرهم لمحاولة منع الرسول من اتمام هجرته، وهذه مهمة دقيقة صعبة حساسة ، فيها خطر ولها أثر، وتحتاج الى يقظة وتنبه ، مع رزانة وثبات ، مع شجاعة وروح فدائية .

---

(١) انظر تفاصيل بطولتها فى كتابى « فدائيون فى تاريخ الاسلام » ص ١٦٩ الى صفحة ١٧٣ .

(٢) انظر على سبيل المثال تهذيب الاسماء واللغـــات ٢٦٢/١ ، والاصابة ٢٧٤/٢ .

فكان عبد الله كل يوم من أيام الغار يحمل الطعام وأخبار المشركين الى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر، اذ هما فى الغار، وكان يبيت عندهما ، ويخرج من السحر فيصبح مع المشركين متظاهرا بأنه لم يبرح داره فى الليل (١) .

ولقد روى الامام البخارى فى قصة الهجرة أن الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبى بكر قالت : « كان عبد الله ابن أبى بكر يأتى النبى صلى الله عليه وسلم وأباه ، وهما فى الغار برادهما ، وبأخبار مكة اذا أمسى ، وهو غلام شاب فطن ، فكان يبيت عندهما ، ويخرج مع السحر ، فيصبح مع قريش » (٢) .

ويعبر الطبرى فى تاريخه عن ذلك بقوله : « وفى الليالى التى مكثا بالغار كان يأتيهما عبد الله بن أبى بكر حين يمسى بكل خبر بمكة ، ثم يصبح بمكة » (٣) .

ويقول ابن الاثير فى كتابه « النهاية » عن المهاجرين العظيمين : « ويبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو شاب ثقف لقن » (٤) اى فهيم حسن التلقن لما يسمعه ، وهكذا كان عبد الله منذ فتوته يجمع بين حس الفهم ودقة الجمع للاخبار ، وقام عبد الله بعمل آخر يتصل بالهجرة، وهو أنه خرج بأسرة أبى بكر ، وصحبها الى المدينة (تاريخ الطبرى ٢/٤٠٠) .

ولقد كان عبد الله رجلا شاعرا ، صاحب أدب ورقة ، ومع ذلك كان عميق التفكير بعيد النظر ، ومما يدل على ذلك أنه اشترى الحلة التى أرادوا أن يكفنوا فيها النبى صلى الله عليه وسلم بتسعة دنانير ، ثم عاد فتنبه الى

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات ١/٢٦٢ والاصابة ٢/٢٧٤ .
(٢) التحفة اللطيفة ٢/٣٧٧ .
(٣) تاريخ الطبرى ٢/٣٧٦ .
(٤) النهاية ٤/٢٦٦ .

أنهم لم يكفنوا الرسول بها ، فزهد فيها وقال : « لو كان فيها خير لكفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم »(١).

ويروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها انها قالت : « كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بردى حبرة ، حتى مسا جلده ، ثم نزعهما ، فأمسكهما عبد الله بن أبى بكر ليكفن فيهما ، ثم قال : ما كنت لأمسك شيئا منع الله رسول منه ، فتصدق بهما » (٢) .

وهذا من عبد الله وعى دقيق عميق فى فهم الاسلام ، فهو يحب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ويريد ليتبرك بأثر من آثاره ، وهو الثوب الذى كان سيكفن فيه الرسول ، ولكنه يعود فيرى ان الله تبارك وتعالى قد صرف عن تكفين نبيه بتلك الثياب ، وذلك لحكمة يعلمها الله سبحانه ، ولذلك قال : « لو كان فيها خير لكفن فيها النبى صلى الله عليه وسلم » .

ولم يتكل عبد الله على أنه ابن أبى بكر الصديق ، ثانى اثنين اذ هما فى الغار ، وأول من آمن من الرجال ، والذى بذل فى سبيل الله ورسوله مابذل ، والذى يوزن ايمانه بايمان هذه الامة . وكذلك لم يتكل عبد الله على أنه شقيق البطلة العظيمة أسماء ذات النطاقين ، بل قام بواجبه فى التعبد ، وفى الجهاد من أجل الاسلام ، فاشترك فى غزوة فتح مكة ، وغزوة حنين ، وغزوة الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأصيب فى هذه الغزوة بسهم احتمله ، ثم انتقض عليه بعد ذلك فمات بسببه (٣). وعبر عنه المؤرخون بأنه مات شهيدا ، فقال السخاوى فى كتابه « التحفة اللطيفة » :

---

(١) التحفة اللطيفة ٢/٣٧٨ .
(٢) الاصابة ٢/٢٧٥ .
(٣) الطبقات ٢/١١٤ القسم الاول

«قال الزبير بن بكار: قتل (يعني عبد الله) يوم الطائف شهيدا ، أصابه سهم فماطله ، حتى مات بالمدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (١) .

وغزوة الطائف كانت في شوال من السنة الثانية ؛وتوفى عبد الله بسبب السهم الذى أصابه فى شوال من السنة الحادية عشرة ، وهذا يعطينا حكما يتعلق بالجهـــــاد والاستشهاد ، وهو أن من أصيب فى معركة من المعارك بجرح أو طعنة ، ثم ظل مدة قصيرة أو طويلة ، ثم مات بسبب هذا الجرح ، فانه يكون معدودا من الشهداء ، اذ لا يشترط أن يلفظ الشهيد أنفاسه وهو فى الميدان .

وكانت وفاة عبد الله بعد وفاة رسـول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين يوما ، وصلى عليه أبوه ، ونزل فى قبره ، كما نزل معه عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبد الله، وعبد الرحمن بن أبى بكر . رضوان الله على الجميع .

---

(١) التحفة اللطيفة ٢/٣٧٧ .

المجاهد الصادع بالقــــرآن
عبد الله بن مسعود

ان للاسلام العظيم موازين ترفع وتضع ، وهــذه الموازين تعنى بالكيف قبل الكم ، وبالنوع قبل الحجم ، وبالمعنويات أكثر من عنايتها بالماديات ، فقد يكون الانسان قليل المال ، رقيق الحال ، ضئيل الجسم بين الرجال ، ومع ذلك يعلو فى نظر الاسلام ويسمو ، حتى يكون علما من الاعلام ، لأنه آمن ايمانا صادقا ، وجاهد جهادا كريما ، وآثر ما عند الله على ما عند الناس : « ما عندكم ينفد ، وماعند الله باق ، ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون » .

وهــذا مثل على ذلك تقدمه مدرسـة النبوة . انه الصحابى الجليل : أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلى (١) ، الذى كان من أسرة فقيرة رقيقة الحـــال ضعيفة المــكانة ، لا تستطيع أن تدفع عن نفسها أذى المعتدين ولا بغى الظـــالمين ، وكان راعى غنم عند أحد المشركين المجرمين وهو عقبة بن أبى معيط .

ولكن الله أعز ابن مسعود بالاسلام ، فدخل فى دعوته مبكرا حتى قال : « لقـد رأيتنى سادس ستة ما عـلى

(١) أمه هى أم عبد بن عبدود ، أسلمت وهاجرت ، فهو صحابى وابن صحابية .

الارض مسلم غيرنا » . واحتمل نصـــيبه من المتـــاعب والمصاعب ، حتى هاجر الي الحبشة مرتين ، ثم هاجر الىالمدينة ، وتحمل نصيبه فى الجهاد والنضال، فاشترك فى غزوات : بدر ، واحد ، والخندق ، وبيعة الرضوان وسائر المشاهد ، واشترك ايضا فى معركة اليرموك ، وهو الذى أجهز على الطاغية الاثيم أبى جهل فى غزوة بدر .

وعقب وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام اراد أبو بكر تحصين المدينة ضد غارات المرتدين ، فوكل الى ابن مسعود حماية الجهات الضعيفة من المدينة ، فقام بذلك الواجب خير قيام ، وكان يحرص على الموت فتوهب له الحياة ، لحكمة يريدها الله ، وكان يردد قوله : « أشرف الموت موت الشهداء » .

وكان ابن مسعود عميق الحب والاخلاص لرسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، طاهر القلب ، نقي الروح ، كأنه مخلوق من النور ، ولذلك كان الرسول يأذن له فى الدخول الى بيته ، ويخلطه بنفسه ، ويقول له : « آذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سوادى (أى سرى) حتى انهاك » . ولذلك قال أبو موسى الاشعري : « قدمت أنا واخى من اليمن ، فمكثنا حينا لا نرى ابن مسعود الا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما نرى من كثرة دخوله ودخول أمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزومه له » .

ويالها من مكانة سامية لا يفوز بها الا الاخيار الابرار ، الذين يصدقون فى الاخلاص لسيد الخلق ، ويستكملون الاهتداء به ، والاستضاءة بنوره ، ولذلك قيل لحذيفة : اخبرنا برجل قريب السمت والدل (اى الصورة والهيئة) والهدى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

مانعلم أحدا أقرب سمتا ودلا وهديا برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم عبد ، ولقـــــد علم المحفوظون من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن ابن أم عبد أقربهم الى الله وسيلة (رواه البخارى) .

ويقول النووى فى « تهذيب الاسماء » عن ابن مسعود:

«كان من كبارالصحابة وساداتهم وفقهائهم ، ومقدميهم فى القرآن والفقه والفتوى . وأصحاب الخلق ، واصحاب الاتباع فى العلم » .

وقد روى ابن مسعود ما يزيد عن ثمانمائة حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جمع من كبار الصحابة والتابعين . وكان يتحرى فى الأداء ؛ ويشدد فى الرواية ، ويزجر أصـحابه عن التهـاون فى ضـبط الألفاظ .

***

ولـكن ابن مسعود كان قصير القامة ، ضئيـــل الجسم ، دقيق الساقين ، حتى عجب بعض النـاس من ذلك ، او سخروا به ، فقال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه عن ساقيه الدقيقتين : « والذى نفسى بيــده لهما فى الميزان أثقل من جبل أحد » ، وشهـد له الرسول بالجنة ، وزاده تكريما بقوله : « تمسكوا بعهد ابن أم عبد » . ولم يقل الرسول ذلك محسوبية أو استثناء او ممالأة ، بل قاله تقـــديرا ، وتذكيرا بأن المرء ليس ببدنه وجسمه ، ولـكنه بقلبه وعقله وفهمه ، وبدينه وأيمانه .

ولقـــد كان لابن مسعود من هذه الجواهر الغوالى نصيب كبير ، فقد أسلم مبكرا ، ودعا مذكرا ، وجاهد مخلصـــا ، وكان أول من جهر بتلاوة القرآن فى مكة ، فقد ذهب فى أول الدعوة الى الـكعبة ، ومن حولهـا

أهل الشرك والبغي ، ورفع صوته بآيات من كلام ربه، قيل انه قرأ جانبا من سورة الرحمن ، فسارع اليه المشركون يضربونه ويعـــذبونه ، ولكنه أحب هـــذا الضرب وهـــذا العـذاب فى سبيل الله ، ومضى على طريق الحق ، يتلقى الـكلمات الالهية النورانية من فم الرســول ، ويرتلها بصوت جميل أخاذ ، حتى قال : « اخذت من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة » (١) .

وكان يقول : « والذى لا اله غيره ، ما فى كتاب الله ســورة الا انا أعلم حيث نزلت ، وما من آية الا أنا أعلم فيما أنزلت ، ولو اعلم احدا هو اعلم بكتاب الله منى تبلغه الابل لركبت اليه » .

وفى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود يوما : اقرأ على القرآن ، فعجب ابن مسعود وقال : أقرأه عليك ... وعليك أنزل ؟ ... قال الرسول : انى أحب أن اسمعه من غيرى .. وبدأ ابن مسعود يقرأ فى سورة النســاء ، حتى بلغ قول الحق جل جلاله : « فـكيف اذا جئنا من كل أمة بشــهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ، يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تســوى بهم الارض ، ولا يكتمون الله حديثا » .

وهنا قال الرسول : حسبك ، فسكت ابن مسعود.

ورفع بصره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا عيناه تذرفان بالدموع .

وقال الرسول بعد أن سمع قراءة ابن مسعود : « من سره أن يقرأ القرآن غضا (أى طريا ناضرا لم يتغير)

---

(١) أنظر الطبقات لابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ١٠٤ ، وفى التحفـــة اللطيفة للسخاوى أن ابن مسعود تلقى من فم الرسول سبعين سورة ج٣ ص ٤٨ .

كما أنزل ، فليقرأه قراءة ابن أم عبد » .

وقال أيضا : « خذوا القرآن من أربعة : من عبدالله ، وسالم مولى أبى حذيفة ، ومعاذ ، وأبى بن كعب » .

والى جانب هـذا كان ابن مسعود اذا هدأت العيون بالليـل يقوم متهجدا متعبدا ، فيكون له دوى كدوى النحل حتى يصبح (١) .

وكان عبد الله يحفظ حرمة القرآن وآدابه ، وهو القائل كما ذكر الغزالى فى « الاحيـاء » :

« ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله اذا النـاس ينامون ، وبنهاره اذا الناس يفرطون ، وبحـزنه اذا الناس يفرحون ، وببكائه اذا الناس يضحكون ، وبصمته اذا النـاس يخوضون ، وبخضوعه اذا الناس يختالون »

وينبغى لحامل القرآن ان يكون مستكينا لينا ، ولا ينبغى ان يكون جافيا ولا مماريا ، ولا صـياحا ، ولا صخابا ولا حديدا » (٢) .

ويالها من عظة تحوى جلائل الآداب التى يتحلى بها الصفوة من أهل القرآن ، وليت هذه العظة توضع أمام قراء القرآن المجيد ، ليتخذوا منهـا نبراسا يضىء لهم الطريق الى حمى الحق تبارك وتعالى .

***

واخذت الايام تمضى ، وابن مسعود على طريق الحق يسير ، فأخلص للرسول الاخلاص كله ، ثم تابع اخلاصه لابى بكر خليفة رسول الله ، ثم تابع الاخلاص للخليفة الثانى عمر بن الخطاب ، وكان عمر يجل ابن مسـعود وينوه بمكانته ، ويردد قوله عنه : « كنيف (أى وعاء)

---

(١) ولم يمنعه هذا أن يحرص على التعطر بالطيب الجميل ، حتى روى ان الناس كانوا يعرفون ابن مسعود اذا مر عليهم برائحته الطيبة ، وان لم يروه .

(٢) الاحياء ج ١ ص ٢٦٠ طبعة بولاق .

مليء علما » .

ولقد أرسله عمر مع عمار بن ياسر الى الكوفة ، ليكون عمار أميرا ، ويكون ابن مسعود وزيرا ومعلما ، وقائما على بيت المال ، وكتب عمر الى أهل الكوفة يقول : « بعثت اليكم عمارا أميرا ، وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ، وهما من النجباء ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أهل بدر ، فاقتدوا بهما ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي » .

***

وكانت له كلمات روائع ، ينبغي ان تروى وترددها الالسنة ، وتعيها القلوب .

من كلماته : « انما هذه القلوب أوعية ، فاشغلوها بالقرآن ، ولا تشغلوها بغيره » .

ويقول : « والله الذى لا اله غيره ما يضر عبدا يصبح على الاسلام ويمسى عليه ما أصابه فى الدنيا » .

ومن كلماته : « الاقتصاد فى السنة أفضل من الاجتهاد فى البدعة » .

ومن كلماته : « انى لامقت الرجل أن أراه فارغا ، ليس فى شيء من عمل الدنيا ، ولا من عمل الآخرة » .

ومنهـا : « خير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، وشر العمى عمى القلب ، وأعظم الخطايا الكذب ، وشر المكاسب الربا ، وشر المآكل مال اليتيم ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يغفر يغفر الله له » .

ومنها : « اذا كان الامام عادلا ، فله الاجر وعليك الشكر ، واذا كان جائرا ، فعليه الوزر وعليك الصبر »

ومنها : « من كان كلامه لا يوافق فعله فانما يوبخ نفسه » .

وكان يقول : « حدث القوم ماحدجوك بأبصارهم».

ويقول : « انى لاحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها » .

وكان بارعا فى الافتاء اذا سئل .

سأله سائل : يا أبا عبد الرحمن ، ان لى جارا يربى (أى يقرض بالربا) وما يتورع عن شأن أصابه ، وانى أعسر فأستسلفه (أحتاج فأقترض منه) ويدعونى فأجيبه ؟

فقال له : كل ، فلك مهنؤه ، وعليه وزره (١) .

***

ومما يرفع قدر ابن مسعود، ويزكى سيرته ، انطائفة من الصحابة كانوا فى مجلس الامام على ، فقالوا :

يا أمير المؤمنين ، ما رأينا رجلا كان أحسن خلقا ، ولا أرفق تعليما ، ولا أحسن مجالسة ، ولا أشد ورعا ، من عبد الله بن مسعود .

فقال الامام : نشدتكم الله أهو صدق من قلوبكم ؟

قالوا : نعم ...

قال : « اللهم انى أشهدك ، اللهم انى أقول فيه مثل ما قالوا أو أفضل ، لقد قرأ القرآن ، فأحل حلاله ، وحرم حرامه ، فقيه فى الدين ، عالم بالسنة » .

***

ولما كانت لكل بداية نهاية ، وكان مصير كل انسان الى الموت ، فقد مرض عبد الله بن مسعود فى عهد عثمان بن عفان ، وذهب عثمان ليعوده ، فقال له : ما تشتكى ؟ ...

فأجاب ابن مسعود : ذنوبى ! ...

فقال عثمان : فما تشتهى ؟ ...

---

(١) عيون الاخبار ، ج ١ ص ٣٤٢ .

فأجابه : رحمة ربى ...
فقال عثمان : ألا آمر لك بطبيب ؟ ..
فأجاب : الطبيب أمرضنى ...
فقال عثمان : ألا آمر لك بعطاء ؟ ...
فأجاب : لا حاجة لى فيه ...
فقال عثمان : فيكون لبناتك ؟ ...
فأجاب ابن مسعود : أتخشى على بناتى الفقر ؟ ... انى أمرتهن أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ، انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
«من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا»
ولا عجب أن يقف ابن مسعود هذا الموقف فهو القائل ضمن عظة له :
« خير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى » .
وهو الذى كان يردد الدعاء بهذه الكلمات :
« اللهم انى أسألك ايمانا لا يبيد ، ونعيما لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، ومرافقة النبى صلى الله عليه وسلم فى أعلى جنة الخلد » .
وتوفى ابن مسعود سنة اثنتين وثلاثين .

***

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام .
هكذا يكون أحرار الرجال وخيار الابطال ، الذين استضاءوا بنور ربهم ، وآثروا ما عنده على ما عند الناس ، وصدقوا نبيهم ، وأخلصوا له فحرصوا على طريقته ومنهاجه ، وصانوا تراثه بقلوبهم وعقولهم وأيديهم ، وعلموا الدنيا ان موازين الله لا ترجح كفتها بثقل اللحم والشحم ، ولا بضخامة الطول والعرض ، وانما ترجح بالايمان والعمل الصالح : « وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الالباب » .

المجاهد طويل العمر

أبو أمامة صدى بن عجلان الباهلى

ما أعجب شأن الانسان فى هذه الحياة ، لقد يحرص على الدنيـا فتفر منه وتعرض عنه ، ولقد يزهد فيها ويصد عنها ، فتقبل عليه ، وتتزين له ، ولقد يخشى الانسان الموت ويحذره ، فيأتيه الموت عاجلا عن يمين أو شمال ،ولقد يرحب بالموت فيفر منه ويتأبى عليه.

ومن هذه العبرة العملية الواقعية التى تطالع البشرية فى كثير من الاحيان وعديد من الجهات نفهم ــ بتوجيه الاسلام العظيم ــ ان هناك أمرين جعلهما الحق تبارك وتعالى مفتاح العزة والسيادة ، هما عدم الحرص على متاع الدنيا ، وعدم الخوف من الموت ، وأن هناك أمرين جعلهما طريق الذلة والصغار ، هما : حب الدنيا ، وكراهية الموت .

ولذلك قال سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه :

« يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الآكلة الى قصعتها » .

قالوا : ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟

قال : بل أنتم حينئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن .

قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟
فقال : حب الدنيا ، وكراهية الموت .

ولو رجعنا الى السيرة العطرة لرسول الله وأصحابه لوجدناه قد ربى من حوله رجالا أبطالا ، زهدوا فى متاع الحياة ، فتكاثر ذلك المتاع من حولهم وتزين لهم ، وأحبوا الموت فى سبيل الله ، فأبقاهم ربهم طويلا فى دنياهم ، ليواصلوا مسيرتهم على طريق النضال والجهاد ، ثم يختم الله لهم بعد حين أو أحيان بخاتمة الوفاء والفداء : « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » .

***

وهذا واحد من هؤلاء ، يطول به العمر ويمتد أمامه الاجل ، حتى يتجاوز مائة سنة ، ليقدم فى سبيل ربه ودينه وقومه ما يقدم من أعمال طيبات ، وباقيات صالحات ، فيكون اه حميد الذكر وعظيم الاجر عند من لا يضيع أجر من أحسن عملا .

انه الصحابى المجاهد والمؤمن العابد ، أبو امامة صدى بن عجلان بن وهب الباهلى السهمى ، وسهم بطن من باهلة ، وباهلة هم بنو مالك بن أعصر ، نسبوا الى أمهم باهلة (١) .

وقد أسلم صدى وأحسن صحبته للرسول، وأخلص جهاده لله ، وصدق فى نضاله من أجل الاسلام ، فأعزه الرسول وأحبه ، حتى يروى انه لما نزل قول الله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما فى قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحا قريبا » .

---

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٠٠ طبعة التجارية .

قال صدى للرسول كأنه يستبشر بفضل الله عز وجل : يا رسول الله ، أنا ممن بايعك تحت الشجرة .

فرد عليه قائلا : أنت منى وأنا منك (١) .

فطار بها أبو امامة فرحا ، وكأنه قد حيزت له الدنيا بحذافيرها .

كما يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل الى الجهاد كتيبة كان فيها أبو امامة صدى بن عجلان ، فأقبل صدى قبيل التوجه الى المعركة وقال للرسول :

ـ يارسول الله ، ادع لى بالشهادة .

فقال الرسول : اللهم سلمهم وغنمهم (٢) أى أكتب لهم السلامة والغنيمة ، وكأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد دعا بذلك ليبقى أمثال هؤلاء الرجال الابطال زمنا يكتبون فيه بجهودهم وجهادهم صحائف العزة والمجد .

وقد استجاب الله تعالى دعاء رسوله صلى الله عليه وسلم ، فبقى أبو امامة فى الحياة فوق المائة من السنين ، وكان عند ظن الرسول به ، فواصل النضال فى مواقف التضحية والاقدام .

وشهد فيما شهد غزوة اليرموك مع عبادة بن الصامت (٣) وجاهد مع الامام على رضى الله عنه فى غزوة صفين (٤) ، وفى عهد الامويين ذهب صدى الى أرض فلسطين ـ ردها الله على العرب والمسلمين ـ ليهاجم جمع الروم الذى اجتمع فى « العربة » من أرض

---

(١) الاصابة ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢) الاصابة ج ٢ ص ١٧٦ .

(٣) النهاية فى غريب الحديث ج ٥ ص ٢٠٨ .

(٤) أسد الغابة المجلد الثالث ص ١٦ طبعة دار الشعب .

فلسطين . فقام أبو امامة بذلك وصاحبه التوفيق ، بفضل الله عز وجل .

***

وبجوار بطولة صدى فى ميدان القتال والنضال كان بطلا فى الفقه والعلم ، فأكثر الرواية للحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى روى عنه مائتين وخمسين حديثا ، وقد روى عن غيره من الصحابة .

وقد روى الحديث عن صدى كثير من الاعلام .

جاء فى « تهذيب الاسماء واللغات » عن أبى امامة الباهلى :

روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا حديث وخمسون حديثا ، وروى البخارى له منها خمسة ، ومسلم ثلاثة ، روى عنه رجاء بن حيوة ، وخالد بن معدان ، ومحمد بن زياد ، وسليمان بن حبيب ، وسليم بن عابر ، وشرحبيل بن مسلم ، وشداد أبو عمار ، وأبو سلام ممطور الحبشى ، والقاسم أبو عبد الرحمن الدمشقى ، وسالم بن أبى الجعد ، وأبوادريس الخولانى ، وغيرهم (١) .

ومن الاحاديث التى رواها أبو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويجب علينا أن نتذكرها ونتدبرها ونديرها على ألسنتنا وقلوبنا وعقولنا قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« لا يعذب الله قلبا وعى القرآن » أى عقله ايمانا به وعملا بمقتضاه ، وتأثرا بمعناه ، وخضوعا لارشاده وهداه ، وأما من حفظ القرآن ، وضيع حدوده ، فانه لا يكون واعيا له (٢) ، وبذلك لا يستحق ذلك الوعد

---

(١) أسد الغابة المجلد السادس ص ١٧ طبعة دار الشعب .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤٠١ .

الالهي العظيم الكريم : « لا يعذب الله قلبا وعى القرآن » .

وتحدث صدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لم ار رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيء اشد خوفا على هذه الامة من الكذب والعصبية ، الا واياكم والكذب والعصبية ، الا وانه أمرنا أن نبلغكم ذلك عنه ، الا قد فعلنا فأبلغوا عنا ما أبلغناكم » (١) .

وكذلك روى عن الرسول قوله :

ـ أكفلوا لى بست أكفل لكم بالجنة : اذا حدث أحدكم فلا يكذب ، واذا اؤتمن فلا يخن ، واذا وعد فلا يخلف ، وغضوا ابصاركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم (٢) .

***

وظلت الايام تمر ، والاعوام تكر ، وانتقل أبو امامة صدى بن عجلان الى الشام ، وسكن فى مدينة حمص مرقد البطل الفاتح سيف الله المسلول ، خالد بن الوليد ، وظل صدى يجاهد ويناضل يمينا وشمالا ، قريبا وبعيدا ، حتى جاءت سنة ست وثمانين للهجرة فقضى ربك أن يلقاه فيها عبده الصالح الفاضل ، المجاهد المناضل : ابو امامة صدى بن عجلان الباهلى.

وهناك فى قرية من قرى حمص تسمى « كفر نفد » رقد البطل الذى تمنى الشهادة فى شبابه فأبتها عليه الاقدار ، ليبقى مجاهدا مجالدا ، حتى يتجاوز المائة بست سنوات ، ليشيب شيبته الجليلة فى الاسلام ، فتكون له خير وسام يوم لقاء الله عز وجل .

---

(١) الاعلام ج ٣ ص ٢٩١ .
(٢) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٤٠٦ .
(٣) تهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ١٧٦ .

إمــــام الـفـدائيــــين
ســـــيدنا رســـول اللـــــه
صلى الله عليه وسلم

اذا كانت جوانب القدوة والاسـوة فى رسـول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة غزيرة ، فمن اللائق بنا ان يشغلنا جانب التضحية والفداء فى شخص الرسـول سيد المجاهدين وامام الفدائيين ، فانه الذى قال له ربه :

« يا أيها النبى جاهد الـكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » .

وقال له :

« فلا تطع الـكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا » .

والرسـول صلى الله عليه وسلم الذى جعـله ربه سبب الرحمة ، ودليل النعمة ، هو الذى يقول :

« انا نبى الملحمة » اى المعركة الشديدة ، ويقول :

« انا رسول الملاحم » .

ويقول : « نصرت بالرعب » .

ويقول : « انا اذا نزلنا ساحة قوم فساء صبـاح المنذرين » .

ولله در امير الشـعراء احمـد شـوقى اذ يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم مصورا شجاعته فيقول :

واذا غضـبت فانما هى غضبـة
فى الحق ، لا ضغن ولا بغضاء

الحــــرب فى حق لديك شريعــة
ومن الســموم النافعـات دواء
الخيل تأبى غير أحمــد حاميا
وبها اذا ذكر اسمه خيــلاء
شيخ الفوارس لو يعلمون مكانه
ان هيجت آســادها الهيجاء
واذا تصــدى للظبــا فمهند
أو للرماح فصـــعدة ســمراء
واذا رمى عن فــوسه فيمينـــه
قدر ، وما ترمى اليمين قضاء
من كل داعى الحق همة سيفه
فلسيفه فى الراسيات مضاء (١)

❀❀❀

وحينما جاهـد رسول الله صلى الله عليه وسلم جهاده الطويل الـكبير ، لم يجاهد لشهرة أو شهوة أو عصبية ، وانما جاهد فى سبيل الله ، ومن أجل الحق وحده ، ولقد اكد أن حياته الشريفة وقف على رسالته، يعيش لها ويفنى من أجلها ، ولا يقبل فيها مساومة أو مداهنة أو مهادنة ، فقال :

والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الامر ، ما تركته حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه » .

وحمل روحه الطاهرة الزكية على كفه التقية النقية، وخرج بها الى ساحات النضال ، يتقرب بها الى مولاه ، ويقول :

لولا أن أشق على أمتى ما قعـــدت خلف سرية ،

---

(١) ضغن : حقد ، والناقعات : القاتلات ، والظبا : جمع ظبة وهى حد السيف ، والصعدة : القناة المستوية والرمح ، والراسيات : الجبال

ولوددت أن أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل .. » .

ولقد مر وهو الرءوف الرحيم على جمع من المشركين ، وهو فى طريقه الى عبادة ربه ، فغمزوه وسخروا منه مرة بعد أخرى وهو يحتمل ، ثم يحتمل ، فلما طفح الكيل ، وأسرفوا فى اجرامهم ، أقبل عليهم ، وقال لهم مهددا متوعدا :

أتسمعون يا معشر قريش ، أما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح . ولما كانوا قوما لا يستحون ، ولكنهم يخافون ، فقد هابوه من شدة ما رأوه فى ملامحه من أصرار على التضحية والفداء ، حتى قالوا له :

انصرف يا أبا القاسم راشدا ، فوالله ماكنت جهولا .

ثم يزداد اجرام الطغاة البغاة حتى يرتضوا لانفسهم اللئيمة الوضيعة أن يتمالئوا جميعا على قتله وهو فرد ، فيأمره مولاه سبحانه بالهجرة ، وفى طريقها يدخل مع صاحبه الغار ، ويتبعهما الكفرة الفجرة حتى يبلغوا باب الغار ، وهنا يقول له صاحبه مشفقا عليه :

ـ يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر الى موطىء قدميه لرآنا ، فتتجلى من الرسول روح الثقة بالله ، والاقبال عليه ، فيقول : « يا أبا بكر ، ماظنك باثنين الله ثالثهما ، يا أبا بكر ، لا تحزن ان الله معنا » .

ويخلد القرآن هذا الموقف أكرم تخليد فيقول فى سورة التوبة :

« الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ، اذ هما فى الغار ، اذ يقول لصاحبه : لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ،

وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم » .

***

وكان النبي المجاهد المسارع الى مواطن التضحية والفداء يتقدم الصفوف فى الوغى ، ولا يرتضي لنفسه الاتقاء بها من خلفها ، وكأنه يريد أن يقول لاتباعه وجنوده : اتبعونى من ورائى وأنا أمامكم وفى طليعتكم ، ولا يقول لهم : تقدموا وانا خلفكم أو من ورائكم ، فهو يبدأ بنفسه كما علمه ربه :

« قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة ، أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما أنا من المشركين » .

ولذلك قال الامام علي يصور فدائية الرسول صلى الله عليه وسلم واقدامه :

« كنا اذا حمي البأس (يعنى شدة الحرب) أتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب منه الى العدو ، ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى ، وهو اقربنا الى العدو ، فكان يومئذ أشدنا بأسا » .

وفى غزوة احد كان النبى يرى عدم الخروج، والاكتفاء بموقف الدفاع داخل المدينة ، ولكن الاكثرية طالبت بالخروج فاستجاب لرأيها ، وارتدى ملابس القتال ، وخرج بلا تردد أو ابطاء ، وحينما أرادوا أن يغيروا رأيهم ، تجلى منه العزم الاكيد والتصميم الوطيد على المعركة ، وقال :

« ما كان لنبي اذا لبس لأمته (درعه أو سلاحه) أن يضعها حتى يقاتل ، ويحكم الله بينه وبين عدوه» .

ويمضي الى المعركة شجاعا أبيا ، مستعدا للاستشهاد، حتى يقول للرماة يومئذ :

« ان رأيتمونا تخطفنا الطير (١) فلا تبرحوا مكانكم هذا ، حتى أرسل اليكم ، وان رأيتمونا هزمنا القوم فلا تبرحوا ، حتى أرسل اليكم » .

وحينما وقع الاضطراب يوم أحد ، وبدأت حركة الفرار الخطيرة بسبب الوطأة الشديدة فى المعركة لم يتزلزل الرسول ولم يتبلبل ، بل أخذ ينادى الفارين قائلا :

« يا عباد الله ، من كر فله الجنة » .

وبقى يجالد ويطاعن ، حتى تمزقت قوسه شظايا ، وما تقهقر ولا انكسر ، برغم الجراح التى أصابته ، والدماء التى سالت منه ، ويصور المقداد ذلك الموقف الرائع بقوله :

« فوالله الذى بعثه بالحق ، ما زلت قدمه شبرا واحدا ، وانه لفى وجه العدو ، تفىء اليه طائفة من اصحابه مرة ، وتفترق عنه مرة ، وهو قائم يرمى عن قوسه ، ويرمى بالحجر ، حتى انحازوا عنه » .

وحينما انتهت المعركة ، وعاد النبى الى بيته ناول سيفه لابنته فاطمة قائلا لها :

ـ اغسلى عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقنى اليوم .

وفى غزوة الحديبية ، وحينما يحس النبى بتعنت المشركين وتطاولهم ، يقول :

ـ لابد أن نناجز القوم .. ثم يقول :

« والله لاقاتلنهم على أمرى حتى تنفرد سالفتى ». (أى حتى تنقطع رقبتى) .. والسالفة هى صفحة العنق ، وهما سالفتان ، من جانبين ، وكنى بانفرادها عن الموت ، لانها لا تنفرد عما يليها الا بالموت .

---

(١) أى تسقط قتلى وتأكل الطيور اجسامنا .

وقيل : أراد حتى يفرق بين رأسى وجسدى .

فهو مستعد للفداء على أروع ما يكون الفداء ، وهو الموت بقطع الرقبة . وحينما حدثت المحنة القاسية فى غزوة حنين التى يقول فيها القرآن المجيد فى سورة التوبة :

« لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ، ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ، فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها ، وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم » .

وانكسر الاتباع من حوله ، ظل راسخا كالطود ، ثابتا كالخلد ، وجعل ينادى فى طمأنينة المؤمن :

أنا النبى لا كذب ، انا ابن عبد المطلب ، أيها الناس ، هلموا الى ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله .

وجعل يقول للعباس : يا عباس ، اصرخ : يا معشر الانصار ، يا معشر أصحاب الشجرة ... ويظل النداء يتردد ، ويجلجل فى ساعة الهول حتى يأتى الجواب من انصار الحق وأتباع الايمان ، قائلين : لبيك ، لبيك، ويعود التماسك من جديد الى الكتائب المجاهدة فى سبيل الله عز وجل .

ان القائد هو روح جنوده ، وان الرائد هو مصباح أتباعه ، ولقد كان سيد الانام محمد خير قائد ، وأصدق رائد ، فاذا اردنا أن ندخل الرضا على روحه الشريفة فلنتخذ منه فى الجهاد قدوة واماما .

فهـــرســت

كتاب الهلال القادم

العسكرية المصرية
فوق سيناء

بقلم : حمدى لطفى

يصدر ٥ أكتوبر ١٩٧٦
عدد خاص الثمن ٢٥ قرشا

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

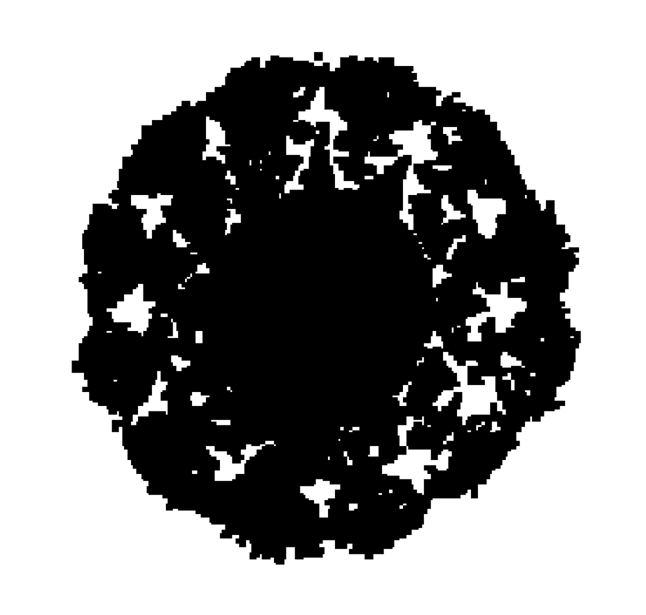
جدة – ص . ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7, Blakopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND.

البرازيل :

Sr. Miguel Maccul Cury.
R. 25 de Marco, 994
Caixa Postal 7406
Sao Paulo, BRASIL.



هذا الكتـــاب

ما قيمة الحياة البشرية اذا لم يأخذ بزمامها مبدأ كريم ، ولم يحصن جوانبها ايمــــان عميق ، ولم يعمر ساحتها نضـــــال من أجل الحق موصول ؟ •

وما قيمة الانسان اذا لم يصنع في حياته خيرا ، أو لم يقدم بين يديه ذخرا ، أو لم يخلف من ورائه ذكرا ؟ •

وتراثنا الروحي والتاريخي يضم في اعماق اعمـــاقه سيرا مجهولة ـ وان كانت رائعة جليلة ـ لاوناس باعوا لله انفسهم ، واشترى منهم خالقهم هذه النفوس الكريمة باغلى الاثمـــان ، وهو الخلود في نعيم الجنان ، فلاقوا ربهم وهم على طريق الحق واليقين •

والامة في اشد الحاجة الى الارتشاف الدائم من هذا الينبوع الطهور لتقوى منها العزائم ، وتسمو الارواح •

وقد واصل فضيلة الدكتور احمد الشرباصي خطواته في هذه المسيرة ، بحقائق المؤرخ العالم ، وبيان الكاتب الاديب ، فاضاف الى موسوعته في الفداء والوفاء صرحا جديدا وركنا عتيدا من نماذج البطولات ، وروائع العبقريات التي جلاها السلف الخالد والاباء الاماجد في ميادين الايمان والاقدام والتضحية ••

وحين ينضم هذا الكتاب الى اخويه « بين الوفاء والفداء » و « رجال صدقوا » ، والى اخوة لهم اخرين ، تزداد هذه الموسوعة عمقا وافقا ، مما يفتح الابصار والبصائر على الزاد الاصيل الجليل للعقول والقلوب

١٢ قــرشـــا